



الصهيونية العربية

ومآلات القضية الفلسطينية

الصهيونية العربية

ومآلات القضية الفلسطينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ
نَخَشَىٰ أَن يُصِيبَنَا آيَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ
فِيُصِيبُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَذِيرٌ ﴿٥٢﴾﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمُ

الصهيونية العربية

ومآلات القضية الفلسطينية

عبدالله علي صبري زينب حسين الموسوي
طالب محمد الحسني فواز أحمد النقاش
عبدالحافظ مُعجب أحمد علي داوود

تقديم

د. محمد البُحيصي

إشراف عام

د. هاني عبادي المُغليس

مركز آفاق اليمن
للأبحاث والدراسات

Yemen Horizons Center for Research and Studies



١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م



مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات مؤسسة بحثية مستقلة تأسست في العام ٢٠٢٥، عماده البحث والتفكير الموضوعي المستند إلى أسس علمية في قضايا التغيرات الجيوسياسية ذات الصلة باليمن وعلاقاته الخارجية، وقضايا التحولات الإقليمية والدولية ذات الأبعاد الاستراتيجية. ويُعنى المركز بملف الصراع العربي الصهيوني، وقضايا القرن الأفريقي، وشؤون الجوار الجغرافي لليمن. ويهتم بإعداد الدراسات والأوراق البحثية في مجال تحليل السياسات العامة، ودراسة التطورات والظواهر السياسية المستجدة وتقدير الموقف منها.

مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات، الدائري الغربي، صنعاء، اليمن.

هاتف: ٢١٥٠٨٦ - ٢١٥٠٨٧ ١ ٩٦٧ +

البريد الإلكتروني: info@yemenhorizons.org

الموقع الإلكتروني: www.yemenhorizons.org

تم إيداع هذا الكتاب برقم (٤٦٧-٢٦) لدى دار الكتب الوطنية - الهيئة العامة للكتاب، صنعاء - الجمهورية اليمنية.

عنوان الكتاب: الصهيونية العربية ومآلات القضية الفلسطينية.

المؤلف: مؤلف جماعي.

الطبعة: الأولى.

الناشر: مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات.

سنة الطبع: ٢٠٢٦.

لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال، أو نسخه أو حفظه في أي نظام لاسترجاع المعلومات، سواء كان إلكترونيًا أو ميكانيكيًا، أو ترجمته إلى أي لغة أخرى، دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

المحتويات

٦	المساهمون
٩	تقديم د. محمد البُحيصي
١٩	الصهيونية العربية والموقف من طوفان الأقصى عبدالله علي صبري
٤٣	مدلول التطبيع وتطبيقاته في الاستراتيجية الإسرائيلية طالب محمد الحسني
٨١	الإعلام العربي المعادي للمقاومة في غزة: دراسة في تحليل المضمون (قناة الحدث أنموذجاً) عبدالحافظ مُعجب
١١٣	السلطة الفلسطينية ودورها في المشروع الصهيوني: ما بعد "أوسلو" حتى طوفان الأقصى زينب حسين الموسوي
١٣١	اتفاقات "السلام" بين مصر و"إسرائيل": بين الواقعيّة والوقيعة السياسية فواز أحمد النّقاش
١٤٣	الجسر البري بين الإمارات و"إسرائيل": التطبيع على حساب غزة وفلسطين أحمد علي داوود

المساهمون

د. هاني عبادي المَغَلِّس

رئيس مجلس أمناء مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات، وعميد كلية التجارة والاقتصاد وأستاذ العلوم السياسية بجامعة صنعاء. له عدد من المؤلفات والأبحاث العلمية، من أبرزها: "بناء الدولة بعد الثورات العربية المعاصرة" و"الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي".

د. محمد البُحَيْصِي

كاتب وباحث فلسطيني، وعضو الهيئة الاستشارية لمركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات، وعضو اتحاد الكتّاب العرب واتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين. من أبرز مؤلفاته: "أكذوبة أرض إسرائيل"، "القدس بين التقديس والتدنيس" و"دفاعاً عن الأناجيل".

عبدالله علي صبري

دبلوماسي وباحث سياسي، وعضو مجلس أمناء مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات. ووكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية والقنصلية. شغل سابقاً منصب سفير الجمهورية اليمنية لدى سوريا. من أبرز مؤلفاته: "الجهاد الأمريكي: من كابول إلى إسطنبول" و"الإسلاميون والديمقراطية في اليمن".

طالب محمد الحسني

كاتب وباحث سياسي، وعضو مجلس أمناء مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات، ورئيس تحرير في قناة "المسيرة" الفضائية، ومحاضر مشارك في الإعلام بالأكاديمية العليا للقرآن الكريم. وله عدد من الكتابات والإسهامات الصحفية والبحثية.

عبدالحافظ مُعجب

صحفي وباحث سياسي، وعضو الهيئة التنفيذية للجنة دعم الصحفيين، وعضو الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين. معد ومقدم برامج تلفزيونية وإذاعية، وله عدد من الكتابات والإسهامات الصحفية والبحثية.

زينب حسين الموسوي

كاتبة وصحفية لبنانية، تعمل في جريدة "الأخبار" اللبنانية، ومتخصصة في مراجعة الكتب وتحريرها. حاصلة على الماجستير في اللغة العربية وآدابها من الجامعة اللبنانية، وهي مؤسّسة مكتبة "وتد" في لبنان.

فواز أحمد النّقاش

باحث دكتوراه في العلوم السياسية بجامعة صنعاء، حاصل على ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وماجستير في العلوم العسكرية من كلية القيادة والأركان بالأكاديمية العسكرية العليا بصنعاء.

أحمد علي داوود

كاتب وصحفي، ورئيس تحرير موقع "المسيرة نت"، حاصل على الماجستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، والبكالوريوس في الإعلام من جامعة صنعاء. وله عدد من الكتابات والإسهامات الصحفية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يُواجه محور الأمة (محور الجهاد والمقاومة) أشرس حملة استكبارية تتعرض لها الأمة عبر تاريخها، ويتصدى لأخطر مشروعٍ إفسادي عرفته البشرية مُتمثلاً بـ "المشروع الصهيوني" بشقَّيه (المسيحي واليهودي) بزعامة الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ومعهما بريطانيا. وفي خضم هذه المواجهة الشاملة والمنازلة الكبرى، معركة الوجود والهوية والوعي والاستقلال والتحرر واستعادة العزة والكرامة. يأتي كتاب: "الصهيونية العربية ومآلات القضية الفلسطينية" لمجموعة من الباحثين، بوصفه باكورة إصدارات (مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات) ليضيف مكوّنًا ثالثًا على مكوّنات المشروع الصهيوني بعد مكوّنيه المؤسّسين (المسيحي البروتستانتي واليهودي)، هذا المكوّن هو: "الصهيونية العربية" الذي اتخذ المركز عنوانًا لكتابه الأول، في إشارة إلى الموقف السلبي والانحزامي لفئة من العرب تجاه قضية الأمة المركزية "قضية فلسطين" وتطوراتها، باعتبارها القضية المركزية التي تُمثل بؤرة الصراع الكوني بين قوى الخير وقوى الشر، والتي من خلالها يتحدد مصير ومستقبل الأمة وهذا ما برهنت عليه الأحداث منذ بدايات القرن التاسع عشر وإلى الآن، حيث يخوض محور (الجهاد والمقاومة) أشرف معركة تمايزت فيها الأنظمة والجماعات والأحزاب والهيئات وحتى الأفراد، على قاعدة ومعيار الموقف من فلسطين ومظلومية شعبها و"طوفان الأقصى" ومسوغاته، حيث كُشف الغطاء، وانجلت حقيقة الجميع في نور ضحى ذلك اليوم المجيد الأغر.

وتكمن الأهمية القصوى لهذا الكتاب في كشفه الخطاب المتصهين والمتهاافت، ونعريته أمام الجمهور، عن طريق سبر أغواره وتحليل مضامينه وتبيان مدى خطورته على الوعي الجمعي العربي، تجاه قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني خصوصاً مع انكشاف مخططات الصهيونية تجاه المنطقة على نحو غير مسبوق، سواء المتعلقة بمشروع "الشرق الأوسط الجديد" أو مشروع "إسرائيل الكبرى" وهما مشروعان مرتبطان وجودياً ببعضهما. وموضوعات الكتاب الست كلها تتناول "الصهيونية العربية" تاريخياً وسياسياً وإعلامياً، عبر القراءة العلمية العميقة، والتحليل الواقعي الهادف، والانحياز المطلق للحقيقة، وهوية الأمة، وللقيم والمبادئ التي تجمع الإنسان بأخيه في الدين ونظيره في الخلق.

يتناول الكتاب مراحل تطور "الصهيونية العربية"، ومدى اقتراحها من الصهيونية اليهودية وانسجامها مع المشروع الصهيوني بدءاً من فكرة الاعتراف والسلام والتعامل التجاري إلى التطبيع وتبني مواقف العدوان في عدوانه وجرائمه على غزة وعلى الأمة.

كنت أود أن يشمل البحث الجذور التاريخية الأعمق لـ "الصهيونية العربية"، وهي التي تبنّاها نظام آل سعود منذ بدايات دولتهم الثالثة، من خلال العلاقة الوثيقة مع الحركة الصهيونية (اليهودية - البريطانية - الأمريكية)، وتفهم احتياجات اليهود إلى وطن قومي كما جاء في صيغة "وعد بلفور"، وكذلك مواقف الشريف حسين في الحجاز وأبنائه من بعده في الشام والعراق، ودورهم في تقسيم الأمة وتسليم فلسطين لليهود، إذ أرى أن هؤلاء مثّلوا تاريخياً أول ظاهرة لـ "الصهيونية العربية"؛ لكنني، في الوقت نفسه، أتفق مع ما ذهب إليه الكتاب من أن نظام السّادات في مصر كان أول من مثّل خرقاً للإجماع العربي الظاهري المتمثل في لاءات الخرطوم الثلاث، وذلك حين طرح "السلام" خياراً استراتيجياً لتحرير بقية الأراضي المصرية المحتلة بالمفاوضات بعد حرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣. ورغم أن هذا الطرح بدأ خجولاً وحذرًا، فإنه - بحسب الباحث - مثّل البذرة الأولى لما يمكن تسميته بـ "الصهيونية العربية"، وهو ما فتح الباب للوصول إلى اتفاقية "كامب ديفيد" عام ١٩٧٩،

ثم اتفاقات "أوسلو" في سبتمبر/أيلول ١٩٩٣، و"وادي عربة" مع الأردن في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٤.

ثم جاءت موجة التطبيع الأخيرة ممثلة في اتفاقيات "أبراهام" الموقعة بين دول عربية وإسرائيل في البيت الأبيض في سبتمبر/أيلول ٢٠٢٠، لتشكل ذروة التحلل السياسي من الالتزامات العربية تجاه قضية فلسطين، مسبغةً على مسار التطبيع السياسي صبغة ثقافية، على النحو الذي تكشف عنه مقولة "فلسطين ليست قضيتي" التي يرددها مثقفوا هذه الموجة الحديثة من التطبيع. وجاء "طوفان الأقصى" كاشفًا لفريق "الصهيونية العربية" بأنه تيار مترعرع بين أظهرنا، وليس تيارًا طارئًا، ويتحرك بشكل منظم وممنهج يهدف لتزييف الوعي وقلب الحقائق.

وهنا يعرف الكتاب مصطلح "الصهيونية العربية" بأنه ينطبق على كل عربي يدعم الاحتلال الصهيوني، ويناصره على حساب حقوق الشعب الفلسطيني، وسواء كان المرء مسلمًا أو مسيحيًا، يكفي أن يكون متنكرًا لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة وغير القابلة للتصرف ولحقه في المقاومة والتحرر من الاحتلال؛ هذا على المستوى الشعبي.

أما على المستوى الرسمي فالمصطلح ينطبق على كل حاكم أو نظام ينخرط في التطبيع المباشر وغير المباشر مع العدو الصهيوني، ويعترف بكيانه، ويتعامل معه كأنة "كيان شرعي". ويدخل في هذا التوصيف النظم التي وقَّعت "اتفاقيات سلام" مع الكيان بدءًا بمصر والأردن، ثم الإمارات والبحرين والمغرب والسودان، بالإضافة إلى "السلطة الفلسطينية"، وغيرها... والحقيقة أنَّ هذا التوصيف الجامع كافٍ لرصد المظاهر النظرية والعملية للصهيانية العرب والتعرف على أصحابها وتعريضهم أمام شعوبهم.

ويتناول الكتاب قضية التطبيع، وكيف ينظر العدو الصهيوني إلى مفهوم التطبيع وتطبيقاته بطريقته الخاصة بما يجعل "السلام" أو بناء العلاقات مقدمة لأهداف استراتيجية مرتبطة بتطور الصراع ونتائج الحروب العسكرية، وفق مبدأ القوة والمناورة السياسية وقوة الحليف..

وفي لفظة ذكية وذات مدلول مُهم يُشير الكتاب إلى أن: اتفاقيات "رودس" في العام ١٩٤٩ تُعدّ أول خطوة على طريق التطبيع مع العدو الصهيوني، وذلك بلحاظ توظيفها (إسرائيليًا) باعتبارها إنجازًا مزدوجًا عسكريًا ودبلوماسيًا له (للكيان الصهيوني)، منحتة الفرصة للحركة، والتوسع في الأرض الفلسطينية، وفصلت المواقف العربية عن بعضها من خلال التوقيع مع كل دولة على حده، ومكّنت العصابات الصهيونية من ترميم قدراتها، وتعزيز تسليحها، فضلًا عن كونها أوجدت مناطق حدودية عازلة منزوعة السلاح، مما يعني اعترافًا ضمنيًا بحدود الكيان.

ويرى الكتاب أن الإسلام والقومية يُمثّلان مانعًا للاندماج الإسرائيلي في المنطقة، وأنّه بعد النكسة التي تعرّض لها المشروع القومي في العام ١٩٦٧، وبعد تفكك الحليف السوفيتي، صار الإسلام هو العائق الأول والمتجدد أمام أية علاقات "إسرائيلية عربية" تُحقّق حاجة الكيان إلى التطبيع الشامل.

وفي سياق تطوّر التطبيع الإسرائيلي مع النظام الرسمي العربي يتناول الكتاب اتفاقات "أبراهام" (٢٠٢٠) التي انطلقت عربيًا من التسليم بضرورة "الوجود الإسرائيلي" واعتبارها نموذجًا لطريقة إنهاء الصراع وصناعة السلام والتنمية والتكامل (كما يزعم أصحابها) ..

وأما "طوفان الأقصى" فالكتاب يصنّفه على أنه "ضرورة لردع تصفية القضية الفلسطينية" بعد أن قامت كيانات التطبيع بشيطة المقاومة وتصنيف حركاتها بـ "الإرهابية"، ومحاولات تمرير ما عُرف بـ "صفقة القرن" بما في ذلك نقل السفارة الأمريكية في فلسطين المحتلة إلى القدس والتسريع في تصفية القضية في ظل وضع عربي متواطئ ومتخاذل، مما جعل "طوفان الأقصى" ضرورة وجودية فلسطينية لا يحيد عنها.

وتضمّن الكتاب بحثًا إعلاميًا قيّمًا تناول فيه الباحث "الإعلام العربي المعادي للمقاومة في غزة" متخذًا قناة الحدث أنموذجًا لدراسة وتحليل مضمون هذا الإعلام، ومنطلقًا من دور الإعلام في إنتاج المعنى وتكريس أنماط الهيمنة الرمزية داخل المجال العام.

حيث يرى الباحث أنَّ قناة الحدث السعودية تُمثِّل أنموذجًا للإعلام العربي المتماهي مع السردية الصهيونية في اتهام المقاومة بالتسبب فيما وصل إليه حال قطاع غزة، مع تبرئة كاملة للاحتلال عن مجازره وحرب الإبادة التي يشنها على الشعب الفلسطيني في غزة، بل وتبريره لتلك المجازر، متبنيًا الإطار التفسيري الإسرائيلي للأحداث.

ويقوم الكتاب برصد وتحليل طبيعة الخطاب الإعلامي المنحاز في قناة الحدث والكشف عن آليات اشتغاله اللغوية والبصرية، والسردية، ومدى تطابقه مع الخطاب الصهيوني في تعامله مع المقاومة الفلسطينية، ومع القضية الفلسطينية عمومًا، ومع سائر قوى المقاومة في المنطقة. وكذلك مدى تأثير مسارات التطبيع السياسي الإقليمي في بُنية هذا الخطاب ومضامينه التي تستهدف تشكيل الوعي والمواقف بما يخدم المشروع الصهيوني وبما يؤكد على تجلّي "الصهيونية العربية" في هذا الخطاب.

ولا يفوت الكتاب الحديث عن السياق التاريخي والسياسي للإعلام الخليجي تجاه القضية الفلسطينية، عبر مراحل التحول السياسي تجاه هذه القضية وإعادة تشكيل الصراع الإقليمي من صراع عربي-صهيوني إلى صراع محاور.

ويخلص الباحث إلى أنَّ القناة لم تلتزم بمعايير التغطية المهنية المتوازنة في سياق نزاع غير مُتكافئ بل قدّمت خطابًا إعلاميًا يتسم بانحياز بنيوي واضح ضد المقاومة، وقد تجلّى هذا الانحياز في مستويات متعددة شملت: اللغة، الصورة، المصادر، والأطر التفسيرية، بما يشير إلى وجود منظومة سردية متكاملة.

ودعا الباحث في توصياته إلى تكثيف الدراسات النقدية حول الإعلام العربي الموجه، كما دعا إلى بناء سردية إعلامية مهنية مضادة تعيد الاعتبار للسياق القانوني والتاريخي للصراع، وتستثمر أدوات المقاومة المعرفية.

وعند الحديث عن السلطة الفلسطينية التي يُصنفها الكتاب (بأحد أكثر الكيانات السياسية إشكالية وإثارة للجدل في التاريخ الفلسطيني المعاصر).. تذكر الباحثة بأنَّ السلطة الفلسطينية لم تأخذ الشكل والهدف اللذين روجا لها رسميًا كونها إفرارًا مباشرًا لاتفاقيات "أوسلو" ١٩٩٣، وقد كان يُروَّج لها على أنَّها بنية إدارية انتقالية تُمهّد لإقامة دولة فلسطينية مستقلة (علمًا بأنَّ "أوسلو" لم تأتِ على ذكر إقامة دولة فلسطينية بل على إقامة حكم ذاتي محدود) والحقيقة كانت غير ذلك حيث تحولت السلطة إلى أداة سياسية أمنية مندمجة في منظومة إدارة الصراع وفق الشروط الإسرائيلية-الأمريكية (وأقول لم تتحول بل هي منذ البدء صُمِّمت على أن تكون كذلك) ممَّا انعكس على إعادة تعريف طبيعة النضال الفلسطيني، وإعادة هندسة العلاقة مع الاحتلال، وهو ما ظهر من خلال الاعتراف الفلسطيني بالكيان الصهيوني (وهذا كان شرطًا لتوقيع الاتفاق)، مرورًا بالدور الوظيفي الأمني للأجهزة الأمنية، وعقيدة التنسيق الأمني، وصولًا إلى فشل مشاريع الوحدة (الفصائلية) وتكريس الانقسام البنيوي في التمثيل السياسي الفلسطيني، وتقديم السلطة نفسها على أنَّها جزءٌ من النظام الإقليمي الداعي للتعايش مع الاحتلال والتعاون الأمني معه..

ومن هنا يرى بعض المؤرخين والمحللين السياسيين أن اتفاق "أوسلو" هو من وفرَّ المباركة الفلسطينية لإدماج "إسرائيل" في الشرق الأوسط الأوسع، وفتح الطريق للحكومات العربية بقيادة (الأردن والإمارات) لتبني التطبيع مع "إسرائيل" تحت المظلة الأمريكية، وصولًا للاتفاقيات "الإبراهيمية" التي أبعدت عنها السلطة الفلسطينية حيث لم يعد لـ"إسرائيل" حاجة إليها بعد انتهاء مهمتها في هذا السياق..

وأما عن موقف السلطة من المقاومة ومن معركة "طوفان الأقصى" فقد ذهبت الباحثة إلى أنَّه موقفٌ سلبي باعتبار المقاومة مهددًا وجوديًا لمشروعها السياسي..

وفيما يتعلق بـ"طوفان الأقصى" فإنَّ السلطة لم تتخل حتى في أكثر اللحظات الوطنية مصيرية عن أداء دورها الوظيفي في خدمة الاحتلال، وقد أدان رئيسها هجوم السابع من

أكتوبر وكرر بأن "حماس لا تمثل الشعب الفلسطيني"، وأنّ عليها تسليم سلاحها، وأنّ من حق "إسرائيل" الحصول على الأمن الكامل ... إلخ، وذلك في أسوأ نموذج لرئيس يزرع شعبه تحت الاحتلال ويتعرض للإبادة.

وكان لا بُدَّ والحديث عن "الصهيونية العربية" أن يتضمن الكتاب بحثًا عن "كامب ديفيد" (١٩٧٨)، مُعتبرًا تلك الاتفاقية نقطة تحول محورية في تاريخ الصراع العربي مع الكيان الصهيوني والجيوسياسية الإقليمية، هذه الاتفاقية التي نقلت مصر بثقلها الاستراتيجي لتُصبح أول دولة عربية تُحدث أوسع خرقٍ في جدار الموقف العربي الذي انهار بعد ذلك، وتبرم سلامًا رسميًا وإنهاءً لحالة الحرب مع العدو الصهيوني، ممّا مهّد الطريق لموجات السقوط والتطبيع اللاحقة، وبرز ظاهرة تيار "الصهيونية العربية" الذي تجاوز سيناريو "الأرض مقابل السلام" الذي طرحته اتفاقات "كامب ديفيد"، وتبنته "مبادرة السلام العربية" في قمة بيروت ٢٠٠٢ إلى اتفاقات "أبراهام" التي تبنت مشروع "السلام مقابل الازدهار والأمن المشترك" متجاوزة بذلك كل ما له علاقة بفلسطين وكأنّها غير موجودة..

ويصف الباحث أنّ عملية "طوفان الأقصى" وما تلاها من حرب إبادة في غزة كانت لحظة الحقيقة التي اختبرت المسار المصري المُتخاذل تجاه أهل غزة، ومعه تيار "الصهيونية العربية" المتواطئ، وإن كان يُحسب للنظام المصري موقفه الراض لتهجير أهل القطاع لما يُمثله ذلك التهجير من خطرٍ وجودي مباشر على الأمن القومي المصري..

ويتوصل الباحث في آخر بحثه إلى أنّ اتفاقات "كامب ديفيد" كانت خيارًا عقلائيًا من منظور المصلحة القومية المصرية الضيقة بحسب تقدير القيادة السياسية المصرية، (حيث نجحت مصر في تحقيق هدفها باستعادة سيناء كاملة، وأوقفت نزيف الموارد) لكن هذا النجاح كان له ثمن استراتيجي باهظ تمثّل في تفكيك جبهة المواجهة العسكرية والسياسية العربية، وعزل القضية الفلسطينية، وإطلاق يد الكيان لتعبث في المنطقة العربية بعد أن فتحت "كامب ديفيد" له أبواب هذه المنطقة وكسرت الحواجز النفسية وحتى الأخلاقية أمام أنظمة "الصهيونية العربية".

ومّا يُحسَب للشعب المصري أنّه أدرك هذه الحقيقة، حيث رفض التطبيع وحصره في المستوى الرسمي، وظل على موقفه من رفض الوجود الصهيوني في فلسطين، وممانعته لكل أشكال التطبيع وعلى كل المستويات الشعبية.

ويختتم الكتاب موضوعاته بالحديث عن موقف دولة (الإمارات) المخزي والخبائي منذ توقيع الاتفاقية "الإبراهيمية" في ٢٠٢٠، حيث كشف هذا الاتفاق عن الدور التخريبي الذي أوكل لهذه الدولة (المحميّة) من أسيادها الصهاينة، والذي تجاوز كل الخطوط الوطنية والقومية والإسلامية وحتى الإنسانية..

فلا نكاد نسمع عن كارثةٍ حلّت في هذا البلد من بلداننا أو ذاك دون أن يكون للإمارات فيه دورٌ أساسي من اليمن إلى السودان إلى ليبيا إلى فلسطين.. إلخ.

ومن هذه الأدوار الخيانية قيادتها لقطار التطبيع والتبادل التجاري والثقافي مع الكيان الصهيوني الذي اتسع بعد "طوفان الأقصى" وبلغ إلى درجة إنشاء جسرٍ بري ينطلق من دبي مرورًا بالسعودية والأردن، وصولًا إلى (حيفا) في فلسطين المحتلة، لتغطية احتياجات العدو من البضائع والسلع للتخفيف من وطأة الحصار الذي فرضه اليمن على ميناء أم الرّشراش (إيلات) وتحريم مرور السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر وذلك في معركة (الفتح الموعود والجهاد المقدس) التي خاضها اليمن إسنادًا لغزة وانتصارًا لمظلومية الشعب الفلسطيني..

وهنا يستذكر الباحث الشيخ زايد آل نهيان ومواقفه العروبية لدعم القضية الفلسطينية وسائر قضايا الأمة ويستحضر مقولة: "ليس النفط العربي أغلى من الدم العربي" .. لنرى كم هو حجم الانقلاب الذي طرأ على سياسية الإمارات بعد وفاته في ٢٠٠٤، ومجيئ الحاكم الفعلي محمد بن زايد، والذي بمجيئه بدأ مسلسل التحالف مع الكيان الصهيوني والطعن في مصالح شعوب الأمة والتماهي مع كل المشاريع التي تستهدفها، وتسويق خطاب العدو السياسي والإعلامي ضد المقاومة والمقاومين.

وختامًا: فلا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر للأخوة في مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات على هذا الإصدار المتميّز والعميق في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ أمّتنا، حيث معركة "الوعي والبصيرة" على أشدّها، ومطلوب من فرسان هذه الجبهة الثقافية المتقدمة المزيد من الجهد والعطاء .. فلعلّ مدادهم يوفي الشهداء بعض حقهم ..

د. محمد البُحيصي

بيروت، يونيو / حزيران ٢٠٢٦

الصهيونية العربية والموقف من طوفان الأقصى

عبدالله علي صبري

ملخص

تتناول الدراسة المواقف المتخاذلة التي رافقت معركة طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي ارتكبتها العدوان الصهيوني في غزة على مدى عامين، برزت خلالها مواقف وتصريحات تتبنّى المنطق الصهيوني في العدوان، وصوّبت سهام النقد والاتهام باتجاه حركات المقاومة في فلسطين، وجبهات الإسناد التي انخرطت في المعركة العسكرية المباشرة مع العدو الصهيوني، شكّلت في مجموعها ما يُمكن تسميته بتيار "الصهيونية العربية".

قدمت الدراسة تعريفاً لـ "الصهيونية العربية" بالمقارنة مع الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، وألقت الضوء على تجليات "الصهيونية العربية" في أبعادها السياسية والاقتصادية والإعلامية، ومدى خطورتها على تشكيل الوعي العربي والإسلامي المناهض للمشروع الصهيوني بالمنطقة.

وخلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات، من أهمها، العمل على رصد المظاهر النظرية والعملية للصهاينة العرب، وكشف العلاقات الظاهرة والمستترة بين "الصهيونية العربية" وبين مشاريع ومخططات كيان الاحتلال ذات العلاقة بتصفية القضية الفلسطينية، وإعادة رسم ملامح وخرائط ما يُسمى بالشرق الأوسط، في إطار مشروع "إسرائيل الكبرى"، وترسيخ معادلة الاستباحة الشاملة، التي لا تقتصر على احتلال المزيد من الأراضي العربية، بل تحوّل دون المقاومة والمواجهة، وتصل إلى طمس الهوية العربية والإسلامية، وخلق ثقافة جديدة لا مكان معها لحرية الأُمّة وكرامتها وسيادة الدول العربية واستقلالها.

مشكلة الدراسة

تعبّر "الصهيونية العربية" عن اتجاه ثقافي في أوساط بعض النخب العربية، ظهر منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي، لكنه وجد مجاًلاً أوسع للتعبير عن نفسه مع أحداث "طوفان الأقصى"، حيث حظي بمساحة إعلامية أكبر مكّنته من التعبير عن نفسه بدرجة غير مسبقة من الصراحة، عبر عدة مداخل وتجليات متعددة.

وأخطر ما في "الصهيونية العربية" أنها صارت مُلازمة للمواقف السياسية للأنظمة العربية الرسمية، التي وقفت إلى جانب "إسرائيل" في عدوانها على غزة، ولزمت الصمت تجاه جرائم الإبادة المتواصلة التي يرتكبها العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني.

وقد شكّلت هذه المواقف المخزية الغطاء للتخادم العربي الصهيوني في المسار الاقتصادي والتجاري، لا سيما بواسطة القطاع الخاص، إضافةً إلى الجسر البري بين الإمارات وإسرائيل، الذي شكّل دعماً وتعويضاً للاقتصاد الصهيوني بعد نجاح جبهة الإسناد اليمنية في فرض حصار محكم على ميناء أم الرّشاش (إيلات).

وساعدت "الصهيونية العربية" الرسمية في تمرير واحتضان الكثير من المهرجانات الفنية (موسم الرياض مثلاً)، التي شكّلت حالة انفصام عن واقع مأساة غزة وأهلها، وقدمت عدداً من الفنانين العرب نماذج رخيصة في بازار الترفيه على حساب القضية الفلسطينية.

وبلغت "الصهيونية العربية" ذروة تجلياتها في الإعلام العربي، الذي تبنت كثيرٌ من وسائله ومنصاته السردية الصهيونية لحرب غزة، لدرجة أنّ بعض القائمين على وسائل الإعلام العبرية عبروا عن دهشتهم تجاه تحوّل الخطاب الإعلامي العربي لصالح المشروع الصهيوني.

على أنّ تجليات "الصهيونية العربية" لا تعبّر كلها عن مواقف مباشرة، فالكثير منها اتخذ أسلوب المراوغة، ودس السم في العسل، سواء عن طريق انتقاد حماس — على زعم أنّها تهورت وعرضت الفلسطينيين لمأساة كبيرة — أم عن طريق الغمز في قادة جبهات الإسناد،

لا سيما حزب الله وأنصار الله، والسخرية من أداء الجبهتين، أو عبر إذكاء الطائفية وربط كل فصائل المقاومة بما يُسمونه المشروع الإيراني، وصولاً إلى التشفي في التضحيات الكبيرة واستشهاد قيادات المقاومة، وأبرزهما الشهيدان السيد/حسن نصرالله ويحيى السنوار. وعليه فإنَّ البحث الذي بين أيدينا، يدرس متغيرين هما: "الصهيونية العربية" كمتغير أول، والمواقف العربية الشاذة من طوفان الأقصى كمتغير ثانٍ.

وعلى نحوٍ أوضح، فإنَّ مشكلة الدراسة تدور حول تجليات "الصهيونية العربية" في الموقف من معركة طوفان الأقصى بشكل خاص، ومن الصراع العربي الصهيوني بشكل عام. ويُحاول الباحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- (١) ما "الصهيونية العربية"؟ وما العلاقة بينها وبين الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية؟
- (٢) ما مواقف "الصهيونية العربية" من معركة طوفان الأقصى، في الأبعاد السياسية والاقتصادية والدينية؟
- (٣) ما أهم مضامين السردية والرواية الإعلامية لـ "الصهيونية العربية"، تجاه حركات المقاومة وقياداتها وعمليات جبهات الإسناد؟

أهمية الدراسة

تكمن الأهمية للدراسة في كشف الخطاب المتصهين والمتهافت، وتعريضه أمام الجمهور عن طريق سبر أغواره وتحليل مضامينه، وتبيان مدى خطورته على الوعي الجمعي العربي تجاه قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، خصوصاً مع انكشاف مخططات الصهيونية تجاه المنطقة على نحوٍ غير مسبوق، سواء المتعلقة بمشروع "تغيير وجه الشرق الأوسط"، الذي أعلن عنه رئيس وزراء كيان الاحتلال بنيامين نتنياهو، وباشر أول خطواته في سوريا، أم عن طريق مخطط التهجير القسري لأبناء غزة وأهلها، الذي أعلن عنه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، أم ما يتعلق بأفكار إعادة احتلال أراضي الضفة الغربية، وتهجير سكانها العرب؛ تمهيداً لما يُسمونه "أرض الميعاد".

أهداف الدراسة

- (١) معرفة خصائص الصهيونية اليهودية ومقارنتها بـ"الصهيونية العربية" الناشئة.
- (٢) دراسة المواقف السياسية العربية الرسمية السياسية والثقافية والاقتصادية المنحازة للكيان الصهيوني، وكيف تجلّت أثناء معركة طوفان الأقصى.
- (٣) تحليل أبرز مضامين خطاب "الصهيونية العربية" في تبني الرواية والسردية الصهيونية للعدوان على غزة.

منهجية الدراسة

يعتمد الباحث على المنهج التاريخي في المقارنة بين مراحل تطور تيار "الصهيونية العربية" ومدى اقتراحها من الصهيونية اليهودية، وانسجامها مع المشروع الصهيوني، بدءًا من تقبل فكرة السلام والتعامل التجاري، حتى التطبيع وتبني موقف الكيان في عدوانه وجرائمه على غزة. ويستعين الباحث في دراسته بالأسلوب الوصفي، ومنهجية تحليل الخطاب، الذي من أدواته: تحليل السياق، والأطر المرجعية، بالإضافة إلى تحليل المعنى الكامن.

تقسيم الدراسة

- (١) بين الصهيونية اليهودية والمسيحية.
- (٢) بدايات ومؤشرات "الصهيونية العربية".
- (٣) اتفاقات "أبراهام" نقطة تحول.
- (٤) "الصهيونية العربية" وطوفان الأقصى.
- (٥) التجليات الإعلامية لـ"الصهيونية العربية".

أولاً: بين الصهيونية اليهودية والمسيحية

في السياق التاريخي والديني، ارتبطت الصهيونية على نحوٍ وثيق بالعمل على إقامة "دولة" لليهود وإنقاذهم من حالة الشتات والهوان، كانت الدولة هي جذر أهداف الصهيونية، ثم جاء اختيار فلسطين وطنًا قوميًا لليهود، ما شكّل الحافز الديني الذي ساعد على توسّع الفكرة والسير بها في خطوات عملية بالتعاون مع القوى الإمبريالية.

وعليه يُمكن القول: إنّ "الصهيونية" دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية قامت على أساس إعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة "دولة" خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف^(١).

استجابت بريطانيا لمطالب الحركة الصهيونية في إطار التعاطف مع "حالة البؤس" التي كان اليهود يعيشونها في أوروبا، وحملت بنفسها راية عملية تهجير اليهود إلى فلسطين، وأعلن "وعد بلفور" في خضم الحرب العالمية الأولى، وذلك في رسالة بعثها وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور بتاريخ ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧ إلى اللورد اليهودي روتشيلد، يؤكد فيها تأييد حكومة بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وعليه لم تكن الصهيونية إلا مشروعًا إمبرياليًا، وما كان "وعد بلفور" إلا ثمنًا للخدمات التي قدّمها اليهود للإمبراطورية البريطانية^(٢).

وإلى جانب البعد الديني اليهودي المرتبط بما يُسمى "بشرى الأعوام الألف السعيدة"، وأنّ الفردوس الأرضي الألفي لن يتحقق إلا بعودة اليهود إلى فلسطين؛ لأن اليهود هم "شعب الله المختار"، وأنّ أرض فلسطين أرضهم التي وعدهم الإله بها، فإن المسيحية الصهيونية قامت على الفكرة ذاتها؛ إذ يُؤمن كثيرٌ من المسيحيين "البروتستانت" بأنّه حين يعود المسيح المخلص سيحكم العالم بوصفه الملك المقدّس ومعه القديسون لمدة ألف عام،

(١) الخزاعلة، ياسر؛ حرب، رجائي. (٢٠١٥). تشكيل العقل الصهيوني. عمان: دار الخليج للنشر. ص ١٨٦.

(٢) مركلي، بول. (٢٠٠٤). الصهيونية المسيحية ١٨٩١-١٩٤٨. ترجمة فاضل جتكر. دمشق: قدمس للنشر والتوزيع. ط ٤. ص ١١٢.

يشار إليها أحياناً باسم "أيام المسيح" أو "الألف السعيدة"، وهي مرحلة سيسود فيها السلام والعدل في عالم التاريخ والطبيعة وفي مجتمع الإنسان والحيوان، ولكن لكي تبدأ الألف السعيدة لا بد أن يجري استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح^(٣).

وقبل أن تضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، كانت بريطانيا قد وضعت يدها على فلسطين وانتزعتها بالقوة من الدولة العثمانية التي كانت آخر جدار في وجه الصهيونية الجارحة.

دخل البريطانيون القدس في ١١ ديسمبر / كانون الأول ١٩١٧، وانتهى حكم الدولة العثمانية فيها، حينها عبّر رئيس الوزراء البريطاني عن فرحه الشديد بسقوط القدس، وكتب في مذكراته أنه استطاع "تحرير" أقدس مدينة في العالم، و"أنه بتحريرها تمكّن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدّسة"^(٤).

كانت فرنسا وبريطانيا قد اتفقتا على تقسيم المنطقة العربية و"تركة الرجل المريض"، على أن تبقى فلسطين تحت إدارة دولية، ووقعنا وقتها اتفاقية "سايكس بيكو" سيئة الصيت في مايو / أيار ١٩١٦، على النحو المعروف تاريخياً. بيد أن فلسطين آلت إلى بريطانيا إثر مؤتمر "سان ريمو" (أبريل / نيسان ١٩٢٠)، الذي اجتمع فيه الحلفاء المنتصرون في الحرب، واتفقوا على وضع فلسطين تحديداً تحت انتداب بريطانيا.

وهكذا بدأت الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وشرعت بريطانيا في دعم زعماء الصهيونية ومخططاتهم في فلسطين المحتلة على حساب السكان العرب.

عملت بريطانيا على تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية والإدارية بما يضمن إنشاء "الدولة اليهودية" في فلسطين، وسهّلت الهجرة اليهودية إلى داخل فلسطين، وشجّعت اليهود على استيطان الأراضي، ومنحت اللغة العبرية الاعتراف باعتبارها لغة رسمية موازية أو

(٣) المسيري، عبد الوهاب. (١٩٩٧). موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية. القاهرة: دار الشروق. ص ٢٧.

(٤) من وعد بلفور إلى إعلان إسرائيل... الانتداب البريطاني في فلسطين. الجزيرة نت. ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

بديلة للغة العربية، كما اعترفت بالوكالة اليهودية عام ١٩٢٩، وتعاملت معها^(٥).

كذلك شجعت بريطانيا اليهود المستوطنين على تأسيس منظمات يهودية مسلحة، مثل "الهاغاناه" التي ارتكبت عشرات المجازر بحق الفلسطينيين، وتأسست "الهاغاناه" في القدس عام ١٩٢٠، منظمة استيطانية استعمارية، بدأت عملها بشكل سري واتبعت الأساليب العنصرية كافة في التعامل مع العرب الفلسطينيين، وشاركت في قمع الثورة الفلسطينية / ثورة البراق ١٩٢٩^(٦).

ولسنا هنا بصدد تقديم تعريف دقيق للصهيونية وسبر أغوارها ومنطلقاتها الفكرية والدينية، كما لسنا بحاجة للخوض في الجدل الفلسفي بشأن الفرق بين اليهودية والصهيونية، وكيف تأثرت الصهيونية بـ"المسيحية البروتستانتية" أو العكس، ذلك أن الأحداث المؤسفة وتدايعات ما بعد ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وما نجم عنها من جريمة إبادة موصوفة بحق الشعب الفلسطيني، كشفت أكثر من أي وقت مضى أن ديمومة المشروع الصهيوني، مرتبط بمتغيرات عالمية وأحداث سياسية جسام عصفت بالعالم كله، وصارت وظيفتها رهناً لهذه المتغيرات، التي صادف أنها شكّلت العامل الأساس في تحويل الفكرة الحلم إلى واقع معاش عبر مراحل متدرجة، لكنها متسارعة بفضل دعم القوى الإمبريالية الغربية، وأهما بريطانيا العظمى، ثم الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذ ما تزال واشنطن الحارس الأمين لهذا الكيان الاستيطاني منذ اعترافها السريع بـ"دولة إسرائيل" في مايو/ أيار ١٩٤٨، فقد كان الدور البريطاني حاسماً في تأسيس هذا الكيان وتمكينه من أرض فلسطين وفق ترتيبات عملية سبقت وتلت "وعد بلفور" الشهير.

كما أن عقدة الذنب التي هيمنت على المشهد الأوروبي بمختلف دوله الشرقية والغربية، وانخرائطها في تمكين اليهود وتعويضهم عن ما يسمونه جرائم النازية، شكّل رافعة مضافة

(٥) من وعد بلفور إلى إعلان إسرائيل... الانتداب البريطاني في فلسطين. مصدر سابق.

(٦) المسيري. مصدر سابق. ص ١٩٥.

لديمومة هذا الكيان وتغوّله في المنطقة العربية، وهذا ما يجعلنا نتعامل مع الصهيونية وكيانها بوصفها مرحلة سياسية تاريخية طارئة، سرعان ما سيزول الفكر المؤسس والمصاحب لها، بمجرد التغيير في المعادلات السياسية الدولية والإقليمية، ولن يتأخر اليوم الذي سيصحو العالم فيه على حقبة جديدة تُصبح فيه الصهيونية شيئًا من الماضي، الذي يتنكر ويعتذر منه الجميع.

ستزول "دولة إسرائيل"، وستغدو الأساطير المؤسسة لها مجرد وهم خيم في الأذهان وخرافة توافرت لها كل عوامل القوة والإبهار، ولا عجب فما زال العالم يحترم القوة ويمجد أصحابها، ولا يعترف بأي حق لمن لا يستطيع أن ينتزع حقوقه كرهًا لا طوعًا.

وهكذا فالصهيونية واقعًا، قامت على القوة وما تزال تفرض نفسها بقوة السلاح والدم، وليس في قاموسها سوى التوسع على حساب الغير على زعم الحق الإلهي فيما يسمى بـ"أرض الميعاد"، وحين يمتلك العرب والفلسطينيون أسباب القوة لن يترددوا لحظة واحدة عن تحرير الأرض واستعادة المعتصبات، وحين يتمكنون فعليًا من ذلك سيعترف العالم تلقائيًا بمشروعية الدولة الفلسطينية وحق شعبها في تقرير المصير.

ثانيًا: بدايات "الصهيونية العربية" ومؤثراتها

عربيًا وقفت الدول والمجتمعات العربية إلى جانب الحق الفلسطيني، ورفضت الاعتراف بـ"دولة إسرائيل"، وانخرطت جيوشها في حروب مباشرة مع العصابات الصهيونية؛ بهدف تحرير فلسطين، إلا أنَّ النتائج كانت مخيبة للآمال، فبعد نكبة ١٩٤٨ حلت النكسة عام ١٩٦٧، وكان على الدول العربية أن تُحرر الأراضي العربية الجديدة التي احتلتها "إسرائيل"، مثل سيناء في مصر والجولان في سوريا، وهذا ما حدث بشكل جزئي في حرب ٦ أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣، حين باغتت القوات المصرية والسورية العدو الصهيوني، وشنت عليه حربًا خاطفة كادت أن تُفضي إلى تحرير كل سيناء وكل الجولان، لولا التدخل الأمريكي.

بتفاهات أمريكية مصرية بالدرجة الأولى توقفت العمليات العسكرية على رغم انتصار العرب، وبات الرئيس أنور السادات يتحدث عن "السلام" وإمكانية تحرير بقية الأراضي المصرية بالمفاوضات. بدأ حديث "السلام مع إسرائيل" خجولاً وحذرًا، إلا أنَّ السادات اعتبره الخيار الاستراتيجي لمصر والمنطقة، وهكذا ظهرت البذرة الأولى لما يُمكن تسميته بـ"الصهيونية العربية".

كان الساسة والمتفقون العرب يدركون جيدًا أنَّ الكيان الصهيوني لا يمكنه الاستمرار إلا بالدعم الأمريكي أو الاعتراف العربي، وحول هذا المعنى يقول عباس العقاد: "إذا كان هناك شيء يتفق عليه العرب والصهيونيون، ويتفق عليه من يكتبون لمصلحة القضية العربية ومن يكتبون لمصلحة الصهيونية، فذلك هو الحقيقة التي تقول: إن إسرائيل لا تحتمل البقاء مع مقاطعة العرب لها، فإذا قاطعها العرب وثابروا على مقاطعتها، فليس في الأرض قوة تنصرها عليهم، وليس بالعرب من حاجة إلى سلاح يدفعون به خطرهم أمضى من هذا السلاح"^(٧).

لكن بدل مقاطعة هذا الكيان جاءت اتفاقية "كامب ديفيد" (١٩٧٩)، التي تضمنت إعلان "السلام" بين مصر وإسرائيل، فمنحت هذا الكيان فرصة غير مسبوقٍ للتغول في العالم العربي باسم السلام، وتحت عنوان التطبيع الذي كان يُراد له أن يكون سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا وشعبيًا، كما كان رسميًا.

التطورات الدولية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠ وإعلان أمريكا عن نظام دولي جديد صبَّت في مصلحة الكيان الاستيطاني، وبرعاية أمريكية أيضا جرى احتواء منظمة التحرير الفلسطينية، التي وافقت على مشروع "الأرض مقابل السلام"، وانخرطت في مفاوضات مباشرة وسرية مع "إسرائيل"، وصولًا إلى اتفاق "أوسلو" (سبتمبر / أيلول ١٩٩٣)، الذي تضمَّن اعترافًا فلسطينيًا لأول مرة بحق "إسرائيل" في "العيش بسلام" مقابل الاعتراف الصهيوني بمنظمة التحرير الفلسطينية، ومنح الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا في غزة وأريحا.

(٧) العقاد، عباس. (د.ت). الصهيونية العالمية. القاهرة: دار نضلة مصر للنشر. ص ٩٩.

وبعد منظمة التحرير الفلسطينية كانت عين "إسرائيل" على سوريا ولبنان والأردن؛ لأنها دول الطوق، ونجحت بالفعل مع المملكة الأردنية الهاشمية، التي انخرطت في التطبيع مع الكيان الصهيوني، وفقاً لاتفاقية "وادي عربة" (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٤)، ولكنها فشلت في الوصول إلى اتفاقات مشابهة مع سوريا ولبنان حتى الآن.

بالموازاة مع هذه التطورات السياسية جهدت "إسرائيل" في الترويج لثقافتها ورموزها بشكل مباشر وغير مباشر، ووجدت في حملة الأقلام المأجورة من يعمل على الترويج لدعايتها، وخدمة أجندتها، عن طريق الصحف ومعارض الصور والاتجاهات الفنية والفلسفية، وظهر الكثير من الببغاوات من أدعياء الثقافة الذين يتلقون الأجندة الصهيونية ويشيرون بها باسم التقدم أو التحرر أو التجديد أو الإصلاح، وإنَّ إمامةً خفيفةً بذلك لتدل على أننا نعاني محنة في المروءة والأخلاق، فضلاً عن محنتنا في العقول والأذواق^(٨).

وهكذا التحق المسار الثقافي في خدمة المسار السياسي باتجاه التطبيع مع الكيان الصهيوني، وانهقد ما يسمى مؤتمر "كوبنهاغن" الذي ضم أكثر من ستين شخصية إسرائيلية، ومثلهم من الجانبين المصري والعربي (يناير/ كانون الثاني ١٩٩٧) في العاصمة الدنماركية، تحت رعاية الاتحاد الأوروبي والحكومة الدنماركية، وكان المؤتمر بمقام أول رصاصة تطلقها "إسرائيل" على جدار المقاطعة الشعبية العربية، وصارت "جماعة كوبنهاغن" رأس الحربة لتيار عربي نخبوي، وظيفته الأساسية ترويج مسألة التطبيع مع "إسرائيل"، ونبذ المقاومة الفلسطينية، ودعم عملية السلام مع الكيان الإجرامي^(٩).

حملت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ معها مشروعاً أمريكياً باسم "الشرق الأوسط الكبير"، وأدت إلى احتلال أمريكا للعراق تحت ذريعة محاربة الإرهاب، وامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وكان من نتائج هذه الحرب أن تراجع النظام الإقليمي

(٨) العقاد. مصدر سابق. ص ٦٩.

(٩) العناني، خليل. تفكيك الصهيونية العربية. الجزيرة نت. ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط: <https://aja.ws/ha51uy>

العربي، لصالح الكيان الصهيوني، وقد كانت "إسرائيل" المستفيد الإقليمي الأول من احتلال العراق الذي كان يشكل عقبة كبيرة أمام مشروع "الشرق الأوسط الكبير" (١٠).

جاء عام ٢٠٠٦ هو الآخر بحدثٍ كبيرٍ على صعيد المواجهة المسلحة مع الكيان الصهيوني، وكانت نتائجه على الضد من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فبعد الانسحاب المذل والمهين لقوات العدو من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ تحت وقع ضربات المقاومة الإسلامية اللبنانية، جاء العدوان الصهيوني على لبنان (يوليو / تموز ٢٠٠٦) انتقامًا من حزب الله ومحاولة للقضاء على المقاومة في لبنان، وهو ما عجزت عنه "إسرائيل"، وكان عليها أن تتكبد خسارة الحرب وتعترف بمعادلات الاشتباك الجديدة التي استمرت نحو ١٨ عامًا. بيد أن الأصوات الصهيونية تخادمت هذه المرة مع الاتجاهات الطائفية في الأمة العربية، التي كانت تعمل على صرف التضامن الشعبي مع المقاومة الإسلامية على زعم أنها شيعية منحرفة عن الخط الإسلامي وتخدم النفوذ الإيراني، والتقت الأصوات الطائفية والصهيونية مع بعض الاتجاهات السياسية اللبنانية التي كانت على استعدادٍ لطعن المقاومة في الظهر، والإجهاز السياسي عليها.

وفي ٢٠٠٨ وإثر العدوان الصهيوني على غزة لم ينتصر الطائفيون والمتصهينون للمقاومة الإسلامية ذات الاتجاه السني - إذا جاز التعبير - بل انتقلوا إلى مرحلة مُتقدمة من الجهر بالسوء، فلم يتوقفوا عند رفض ونقد المقاومة فحسب، بل اتجهوا لتبني الرؤية الصهيونية تجاه المقاومة الفلسطينية، واعتبارها إرهابًا يجب القضاء عليه، وجَهَر بعضهم بضرورة نزع سلاح المقاومة دون استحياء (١١).

(١٠) عواض، محمد. محددات الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وتوابعها: العراق نموذجاً (٢٠٠٣-٢٠٢٣). مجلة

السياسة الدولية. ٢٧ مارس ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://2u.pw/ZegZpfsf>

(١١) المصدر نفسه.

ثالثاً: اتفاقات "أبراهام" نقطة تحول

شهد البيت الأبيض الثلاثاء ١٥ سبتمبر / أيلول ٢٠٢٠ توقيع اتفاق لتطبيع العلاقات بين "إسرائيل" والإمارات والبحرين، ووعده الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الذي رعى الاتفاق، بانضمام دول أخرى من المنطقة للتطبيع، بينما تحدث الموقعون عن بدء مرحلة تاريخية جديدة وعن مرحلة جديدة في الشرق الأوسط^(١٢).

سُمّيت هذه الاتفاقات باتفاقيات "أبراهام"، نسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام، وكانت هذه الاتفاقات المحاولة الأولى لإضفاء طابع رسمي على تكتل أو "ناتو" شرق أوسطي يضم أمريكا و"إسرائيل" وعدداً من الدول العربية، على أن تنضم السعودية لهذا التكتل لاحقاً^(١٣). وسبق للرئيس الأمريكي دونالد ترامب في يناير / كانون الثاني ٢٠٢٠، أن أعلن رؤيته للسلام بين "إسرائيل" والفلسطينيين ضمن مشروع "صفقة القرن" التي عُرفت إعلامياً بـ"صفقة ترامب"، وانطوت على خطة لتصفية القضية الفلسطينية في مقابل إجراءات اقتصادية، مع تجاهل تام لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين في الشتات.

تصدّرت الإمارات العربية المتحدة مشهد التطبيع مع الكيان الصهيوني، وانخرطت مع "إسرائيل" في مبادلات تجارية تجاوزت المليار دولار خلال العام ٢٠٢١، ثم أردفت التعاون التجاري بخطوات نحو تعاونٍ أمني مفتوح؛ إذ شاركت الإمارات لأول مرة في مناورة عسكرية إسرائيلية بصفة مراقب، كما عرض الكيان الصهيوني على أبوظبي المساعدة العسكرية والأمنية في التصدي لهجمات اليمن "الحوثيين"^(١٤).

(١٢) ترامب يعرّى توقيع اتفاق التطبيع بين إسرائيل والإمارات والبحرين ويعد بانضمام دول أخرى. فرانس ٢٤.١٥ سبتمبر ٢٠٢٠. متاح على الرابط: <https://f24.my/6sP1>

(١٣) سينغ، مايكل. محور "اتفاقات إبراهيم": التطبيع العربي الإسرائيلي قد يعيد تشكيل الشرق الأوسط. معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى. مارس - أبريل ٢٠٢٢. متاح على الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/pdf/view/17294/ar>

(١٤) المصدر نفسه.

لم ينتظر تيار الصهاينة العرب كثيرًا، فأعلن عدد منهم على نحو مكشوف أنَّ فلسطين ليست قضية عربية، وكان الالفت أنَّ من تزعم هذه الخيانة مثقف سعودي يُدعى "تركي الحمد"، وكان ذلك مؤشرًا على تهيئة الأجواء لانخراط السعودية ذاتها في التطبيع مع الكيان الصهيوني.

بتاريخ ١٩ أغسطس/ آب ٢٠٢٠ نشر "تركي الحمد" على حسابه في منصة "إكس"، جملة مستفزة من أربع كلمات، قال فيها: "ببساطة.. فلسطين ليست قضيتي.." (١٥).

ولخصت هذه الجملة ببساطة مشروع "الصهيونية العربية"، التي اتسع جمهورها على وسائل التواصل الاجتماعي في تصاعد لافت وعلى نحو مُحجّل، لدرجة أنَّ أحد أقطاب التطبيع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني، استشعر خطورة التيار الجديد، وكتب محذّرًا من الانسياق وراء الأوهام التي يرفعها أمثال تركي الحمد.

كتب الدكتور صائب عريقات - وهو قيادي في السلطة الفلسطينية - متسائلًا: "هل نشهد اليوم ميلاد الصهاينة العرب العلني؟ فالذي يقرأ ما يكتبه الذين يدافعون عن قرار الإمارات الاعتراف بإسرائيل، يجد التمجيد بإسرائيل وحرّيتها ورقيّها، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى القول أنَّ: فلسطين ليست قضيتي، وإسرائيل حليفة وفيّة، وفي المقابل تكال الشتائم للشعب الفلسطيني، وعدم وفائه، ونكرانه للجميل، وفساد قياداته" (١٦).

رابعًا: "الصهيونية العربية" وطوفان الأقصى

يُحسب لعملية طوفان الأقصى الكثير من الإنجازات الاستراتيجية على صعيد الصراع مع العدو الصهيوني، فقد فتحت حرب غزة منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، الباب على مصراعيه باتجاه

(١٥) الحمد، تركي. "ببساطة.. فلسطين ليست قضيتي.." منصة "إكس". ١٨ أغسطس ٢٠٢٠. متاح على الرابط:

<https://x.com/TurkiHALhamad1/status/1295830484648329217>

(١٦) عريقات، صائب. ميلاد الصهاينة العرب العلني. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا). ٢٤ أغسطس ٢٠٢٠. متاح

على الرابط: <https://www.wafa.ps/Pages/Details/8148>

الفرز المكشوف بين من يقف مع المقاومة ومحور القدس، ومن قرر اللحاق بـ"الصهيونية العربية" وتبني الرواية الإسرائيلية للصراع وحرب الإبادة التي يرتكبها الكيان الصهيوني بحق فلسطين ولبنان، وكشفت يوميات طوفان الأقصى أن ظاهرة "المتصهينين العرب" ليست أمراً طارئاً أو مؤقتاً، بل تياراً يترعرع بين ظهرانينا، ويزداد قوةً وحضوراً وتأثيراً في إطار عملية منهجية ومنظمة، هدفها الأساس تزييف الوعي وقلب الحقائق، وإنهاء الصراع مع "إسرائيل" شعبياً بعد أن كاد ينتهي رسمياً^(١٧).

١. البعد السياسي والثقافي

لا شك أنَّ "الصهيونية العربية" أخطر من الصهيونية اليهودية أو الصهيونية المسيحية، ليس لأنها تقف مع الجلاذ على حساب الضحية، بل لأنها تُفصح عن حالة حرجة من اليأس والانحزام والانبطاح غير المسبوق في تاريخ أمتنا العربية والإسلامية، وإن كانت قد عرفت ظروفًا مشابهة على صعيد خيانة واستسلام الملوك والسلاطين، إلا أنَّ ثقافة الأمة ظلت محصنة على نحوٍ محكمٍ في أصعب وأحلك الظروف.

والمؤسف أنَّ أغلب النظم العربية الرسمية تتعامل مع هذه الظاهرة، بأنها نوع من حرية التعبير، أو فكر جديد حديثي، بينما تواجه من يتحدثون عن المقاومة أو يجهر بالدعاء في صلاته لأهل فلسطين بالسجن والقمع^(١٨).

لكن على العكس من الصهيونية اليهودية أو المسيحية، فإن "الصهيونية العربية" لا تعبّر عن موقف ديني، بقدر ما تمثل تحلاً من الالتزام الديني والأخلاقي، وهذا ما يجعلها نسخة رديئة وهشة وضعيفة التأثير، لولا تواطؤ النظم العربية الرسمية والضخ الإعلامي المصاحب لها.

(١٧) العناني. مصدر سابق.

(١٨) كمال، خلف. "ظواهر شاذة" في زمن الحرب المصرية "من هم الصهاينة العرب"؟. رأي اليوم. ١٩ نوفمبر ٢٠٢٣. متاح

على الرابط: <https://2u.pw/ErbJN7S0>

ويمكن القول: إنّ مصطلح "الصهيونية العربية" ينطبق على كل عربي يدعم الاحتلال الصهيوني ويناصره على حساب حقوق الشعب الفلسطيني، وسواء كان مسلماً أم مسيحياً، يكفي أن يكون عربياً معادياً للمقاومة أولاً ولشعب فلسطين ثانياً، ولحق التاريخي في التحرر من الاحتلال، حتى نَعُدّه ضمن الصهاينة العرب^(١٩)، هذا بالنسبة للحالة الشعبية والثقافية غير الرسمية.

أما الجانب الرسمي، فيمكن القول: إنّ مصطلح "الصهاينة العرب" ينطبق على كل حاكمٍ أو نظامٍ ينخرط في التطبيع المباشر وغير المباشر مع العدو الصهيوني، ويعترفُ بكيانه ويتعاملُ معه كأنه كيانٌ شرعي، ويدخل في هذا التوصيف الدول العربية التي وقّعت اتفاقيات "سلام" مع كيان الاحتلال بدءاً بمصر والأردن، ثم الإمارات والبحرين والمغرب والسودان، بالإضافة إلى السلطة الفلسطينية.

وما يُؤسّف له أن أغلب الأنظمة العربية التي لم تعترف بـ"إسرائيل"، باتت على مقربة جداً من إعلان التطبيع مع الكيان الصهيوني، بدليل أنها خذلت غزة وأهلها طوال الحرب، واتجهت بكل ثقلها لشيطنة المقاومة بكل فصائلها في فلسطين ولبنان وفي جبهات الإسناد، وهذا يعني أن دائرة "الصهيونية العربية" إلى اتساعٍ قادم الأيام للأسف الشديد.

وهنا سأقتبسُ مواقفًا لعددٍ من الحكام العرب وردت في كتاب "الحرب" لمؤلفه الصحفي الأمريكي بوب ودورد، الذي صدر في ذروة حرب الإبادة الجماعية على غزة، والغريب أن هذه المواقف الصادمة التي جرى الكشفُ عنها لأول مرة لم يقابلها أيُّ نفي أو ردة فعلٍ من الحكام والشخصيات السياسية العربية التي وردت على لسانها، بل كان الصمت المخزي سيد الموقف.

(١٩) هنيد، محمد. الصهاينة العرب.. قراءة في البنية والوظيفة. عربي ٢١. ١٤ ديسمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط:

بحسب النسخة المترجمة للعربية للكتاب، فقد زار أنتوني بلينكن، وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، المنطقة في منتصف أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٣، وكانت وجهته الأولى تل أبيب، ثم عمّان، فالدوحة، ثم المنامة، فالرياض ومنها إلى أبوظبي والقاهرة قبل العودة مجددًا إلى تل أبيب. في عمّان التقى بلينكن بالملك عبدالله الثاني، وكان مما قاله ملك الأردن: "يجب هزيمة حماس، لن نقول ذلك علانيةً، لكننا ندعم هزيمة حماس ويجب على إسرائيل أن تهزم حماس". (ص ٢٥٦)

في الدوحة التقى وزير الخارجية الأمريكي بأمير قطر تميم بن حمد، وقال الأمير: "أوضحنا لحماس أن لا أحد يقبل ذلك، لا أحد يقبل ما فعلوه، لم يعد لديكم أصدقاء، ماذا تتوقعون أن نقول للأمريكيين والإسرائيليين". (ص ٢٥٧)

وحين تحدث بلينكن عن ضرورة عدم التعامل مع حماس لاحقًا، وبعد إطلاق الأسرى الصهاينة، قال تميم: "أفهم ولن يحدث ذلك، لا أحتاج إلى حماس بعد الآن، لا أريد عقبات مع أمريكا، سنبقى القناة مفتوحة الآن لأنكم تجدونها مفيدة، علاقتنا مع أمريكا مهمة جدًا". (ص ٢٥٧)

وفي الرياض كان الموقف السعودي واضحًا، فقد قال وزير الخارجية فيصل بن فرحان: "نحن قلقون بشأن تأثير عمليات إسرائيل على أمننا جميعًا، ما يأتي بعد حماس قد يكون أسوأ". (ص ٢٦٠)

أما في أبوظبي، فقد عرض محمد بن زايد استعداد الإمارات للعمل المشترك بهدف القضاء على حماس، وقد قال أثناء استقباله وزير الخارجية الأمريكي: يجب القضاء على حماس، يمكننا أن نُعطي إسرائيل المجال لتدمير حماس، لكن يجب على إسرائيل أن تعطينا مساحةً، دعوا المساعدات الإنسانية تدخل". (ص ٢٦١)

كانت القاهرة إحدى العواصم التي وصلها بلينكن في جولته، والتقى فيها بالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، وعلى هامش اللقاء التقى فريق بلينكن برئيس المخابرات المصرية عباس

كامل، الذي قدّم تقييمًا حول مدى عمق واتساع أنفاق غزة التي تديرها حماس، وقال: "إن حماس متجذرة في غزة، وأن القضاء عليها سيكون صعبًا للغاية"، ثم أردف: "يجب ألا تدخل إسرائيل مرة واحدة، انتظروا حتى يظهروا ثم اقطعوا رؤوسهم". (ص ٢٦٣)

إلى جانب ذلك تصرّفت بعض العواصم العربية وكأنّ ما يحدث في غزة لا يعنيها، فبالإضافة إلى أنها لم تسمح بالتظاهرات الشعبية المتضامنة مع القضية الفلسطينية، فإنّها سمحت وأقامت المهرجانات الفنية الصاخبة، التي لم تخلُ من جدلٍ بشأن مواقف هذه الدول والفنانين العرب من طوفان الأقصى، وجرائم الإبادة التي يتعرض لها أهل غزة.

كان "موسم الرياض"، على رأس هذه الفعاليات، التي أكّدت الانفصام عن مجريات الأحداث وواجب الأخوة العربية والإسلامية تجاه مظلومية الشعب الفلسطيني، فقد انطلقت فعاليات النسخة الرابعة من المهرجان في ٢٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٣، بزخمٍ غير مسبوق بحسب تركي آل الشيخ، رئيس مجلس إدارة هيئة الترفيه السعودية^(٢٠).

وتجاهل القائمون على موسم الرياض والمشاركون العرب في فعالياته كل دعوات المقاطعة، وتأجيل مثل هذا النوع من المهرجانات التي تحضر فيها مظاهر العري والأداء الهابط على حساب الذوق والفن الرفيع.

وتكرر المشهد نفسه في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٤ مع انطلاق فعاليات "موسم الرياض" في نسخته الخامسة دون أي اعتبار لنزيف الدم الذي شهدته غزة على مدار عام كامل.

في مصر جرى تأجيل مهرجان القاهرة السينمائي، الذي كان مقرّرًا في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٣، لكن نسخته الـ ٤٥ انطلقت في ١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٤ في فعالية

(٢٠) "موسم الرياض ٢٠٢٣" ... هوية جديدة وتجارب ترفيهية عالمية. الشرق الأوسط. ١٧ سبتمبر ٢٠٢٣. متاح على

الرابط: <https://aawsat.news/jp84d>

احتفالية بدار الأوبرا المصرية وسط جدلٍ مستمر بشأن الموقف من طوفان الأقصى، وهو ما جعل إدارة المهرجان تُخصص هذه الدورة للاحتفاء بالسينما والقضية الفلسطينية.

كان مهرجان "الجونة" السينمائي في مصر - هو الآخر - محل سخرية من المتابعين على منصات التواصل الاجتماعي؛ بسبب إقامته بالتزامن مع استمرار العدوان الصهيوني على غزة، إضافة إلى الإطلاقات الجريئة للمشاركات من الفنانات المصرية، وفي ٢٤ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٤ انطلقت فعاليات مهرجان الجونة في دورته السابعة، وهي الثانية في ظل "طوفان الأقصى".

وكان مهرجان "العلمين" المصري قد واصل أنشطته للعام الثاني على التوالي، بمشاركة فنانين من داخل مصر وخارجها، وضمن فعاليات المهرجان أحيا الفنان المصري تامر حسني، حفلاً ضخماً في مدينة الإسكندرية، حضره آلاف الشبان والشابات بالتزامن مع تزايد التصعيد والأحداث المأساوية في غزة ولبنان، ما أثار انتقادات واسعة في مواقع التواصل الاجتماعي.

وكان لافتاً أن الحكومة المصرية التي سمحت بإقامة مثل هذه الحفلات، منعت بالمقابل كل أشكال التضامن السلمي مع فلسطين منذ بدء العدوان على غزة، وقامت بملاحقة رموز التضامن المصري مع فلسطين في الجامعات والمدارس والمساحات العامة؛ إذ وثقت منظمة العفو الدولية اعتقال أكثر من ١٢٣ شخصاً ممن أعربوا عن تضامنهم مع أهالي غزة عن طريق التظاهر السلمي، أو بعد نشرهم تعليقات تضامنية على الإنترنت، وكتابة شعارات للمقاومة الفلسطينية في شوارع القاهرة^(٢١).

(٢١) دالاتي، بمان. عصر الانقسام العربي.. مهرجانات الترفيه تزدحم رغم المأساة والإبادة في غزة. نون بوست. ٢٣ أكتوبر

٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://www.noonpost.com/259269/>

٢. الأبعاد التجارية والاقتصادية

بعيداً عن الأنظار نسبياً، ثمة تطبيع من نوع آخر كشفت عنه حرب غزة، وثمة تجليات لتيار "الصهيونية العربية" لا تقتصر على الموقف السياسي أو النقابي الرسمي أو الشعبي، بل تتعداه إلى التخاذم والتعاون المباشر عن طريق التجارة والاستثمار، فبالإضافة إلى استمرار عدد من الدول العربية في تزويد كيان الاحتلال بالبضائع والسلع التي يحتاجها، برز رجال أعمال عرب لا يرون مشكلة في التعامل التجاري مع هذا الكيان، بل إن بعضهم لم يتورع عن تصدير منتجات متعلقة بالمجهود العسكري واحتياجات جنود جيش العدو أثناء الحرب وجرائم الإبادة بحق أهلنا في غزة^(٢٢).

ومن أبرز تجليات التطبيع في شقه الاقتصادي، الإعلان عن تشغيل جسر بري بين الإمارات و"إسرائيل"، وهو ما استنكره الرأي العام العربي، لا سيما أن هذه الخطوة التي تندرج في إطار مظاهر "الصهيونية العربية"، جاءت إنقاذاً للكيان من تداعيات الحصار البحري الذي فرضته الجبهة اليمنية بنجاح على ميناء أم الرّشّاش (إيلات) في فلسطين المحتلة، وتسبب في خسائر اقتصادية كبيرة اعترفت بها وسائل إعلام عربية وغربية.

مع تصاعد الهجمات اليمنية المساندة لغزة، شغّلت "إسرائيل" والإمارات في سبتمبر/أيلول ٢٠٢٣ الخط البري، مروراً بالأراضي السعودية والأردنية، وصولاً إلى ميناء حيفا على البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يعكس التوصل لاتفاق بين جميع الدول المشتركة في هذا المسار، بما فيها السعودية^(٢٣)، وتبرز أهمية هذا الجسر في أن تدفق الواردات عن طريقه تستغرق ٣-٤ أيام فقط، ما يجعله ملائماً لنقل البضائع ذات الصلاحية قصيرة المدة، مثل المنتجات الغذائية الطازجة، وعلى الرغم من أن تكلفة استخدام الجسر البري أعلى من

(٢٢) عبد السلام، مصطفى. الصهاينة العرب... "استحووا على حالكهم". العربي الجديد. ٤ يناير ٢٠٢٤. متاح على الرابط:

<https://2u.pw/JNERlt>

(٢٣) انظر على سبيل المثال: جسر بري يربط دبي والرياض بإسرائيل. منصة أسباب. ديسمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط:

<https://2u.pw/qcMdpS>

قناة السويس، فإنَّ ارتفاع تكاليف التأمين البحري جراء التوترات عند مضيق باب المندب جعلت الطريق البري أقل تكلفة^(٢٤).

وهكذا، ففي الوقت الذي منعت فيه "إسرائيل" كل أنواع المساعدات إلى قطاع غزة وفرضت على نحو مليوني نسمة حصارًا خانقًا وحرب تجويع ممنهجة، ولم تتحرك أي دولة عربية - عدا اليمن - لإنقاذ غزة على نحو عملي، رأينا "الصهيونية العربية" وهي تُسارع لإنقاذ السوق الإسرائيلية، وتُرودها بالبضائع التي تحتاج إليها، بواسطة هذا الجسر البري، مضافًا إليه عمليات التصدير القائمة من قبلُ بين كيان الاحتلال وبعض الدول العربية مثل الأردن.

ولا شك أن تنامي تيار "الصهيونية العربية" رسميًا وشعبيًا، لا يساعد على مسار مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، التي دعت إليها عدد من الحركات الاحتجاجية الشعبية بالتزامن مع حرب غزة وطوفان الأقصى، فمقاطعة البضائع التي حققت نجاحًا في الأيام والأسابيع الأولى من العدوان على غزة، لم تُجد تجاوبًا من رجال الأعمال العرب الذين ظلُّوا يتعاملون مع الشركات الأمريكية والإسرائيلية تحت مزاعم واهية.

خامسًا: التجليات الإعلامية لـ "الصهيونية العربية"

تصدَّرت عددٌ من الوسائل العربية مشهد التطبيع مع الكيان الصهيوني، وهي تقترب جدًّا من تقديم الرواية الصهيونية للعدوان على غزة، وتجتهدُ في فتح نافذة للمتحدثين السياسيين والعسكريين باسم جيش الاحتلال، مع استضافة محللين سياسيين يتبنَّون الواقعية الانهزامية، والمواقف المضادة للمقاومة. وبشكل عام، فقد انطلق الإعلام العربي في تعاطيه مع يوميات "طوفان الأقصى" عن طريق ثلاثة مسارات رئيسة^(٢٥):

(٢٤) جسر بري يربط دبي والرياض بإسرائيل. مصدر سابق.

(٢٥) عنان، عماد. الإعلام العربي وحرب غزة... مقاربات توثق الخذلان. نون بوست. ١٩ نوفمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط:

- **الأول: إعلام المقاومة:** هو الذي يتبنّى سردية المقاومة من حيث تبرير وتمجيد أداء فصائل المقاومة الفلسطينية، وجبهات الإسناد.
- **الثاني: الإعلام المضاد:** هو الإعلام التابع للدول المطبّعة التي تتمتع بعلاقات جيدة مع الاحتلال، وهذا الإعلام في أغلبه يتبنّى السردية الصهيونية بصورة كبيرة، وهو الذي تُركّز عليه في هذه الدراسة.
- **الثالث: الإعلام الرمادي:** هو الذي يلتزم خط "الحياد" في الظاهر، لكنّه يتأرجح ما بين دعم ومناهضة المقاومة، تبعًا لسير الأحداث وتغير مواقف الدول المالكة لتلك النوافذ الإعلامية.

لقد كانت قناتا "العربية" السعودية وقناة "سكاي نيوز" الإماراتية، على رأس الوسائل الإعلامية العربية، التي قدمت خطابًا يخدم الأجندة الصهيونية بكل وضوح، في انسجام مع المواقف الرسمية للرياض وأبوظبي.

فمنذ انطلاق طوفان الأقصى، وهذه القنوات تتعرض لانتقادات لاذعة بسبب سياستها التحريرية؛ إذ تصف جيش الاحتلال بأنه "الجيش الإسرائيلي"، والشهداء الفلسطينيين بالقتلى، وتنعت القسام وحماس بطرف صراع، وغيرها من السرديات التي لا تختلف كثيرًا عن الخط التحريري لوسائل الإعلام العربية^(٢٦).

بل لقد وصل بعضهم إلى درجة أن يكون مجرد صدى للسردية الصهيونية، وتقديمها للجمهور العربي بذات العبارات كما وردت في الإعلام العربي، مع تبني مضامينها على نحو مُطلق، وقد رصدت دراسة عن مركز الجزيرة للدراسات، تناولت ما أسمته "السجل اللغوي للخطاب المتصهين"، ورصدت بواسطته الكثير من الأساليب التي اعتمد عليها هذا النوع من الخطاب في التحقير من المقاومة وتضحياتها.

(٢٦) الإعلام العربي وحرب غزة... مقاربات توثق الخذلان. مصدر سابق.

فمثلاً يُسمى هؤلاء المتصهينين معركة طوفان الأقصى بـ "الإرهاب الحمساوي"، والمدنيين الأبرياء في غزة بـ "الدروع البشرية"، ويُشبهون حماس بالرئيس العراقي الراحل صدام حسين، ويتبنون مفهوم "الدفاع عن النفس" في تبرير جرائم العدو وانتهاكاته، وبالنسبة لحزب الله فهو في أديباتهم "حزب إيران"، أو "حزب الشيطان"، وانخراطه في الحرب ليس إلا "مسرحية" أو "معركة العامود"^{*}، وكذلك الأمر بالنسبة لـ "أنصار الله"، أما صواريخ المقاومة فهي "هزيمة وكرتونية" وشعاراتها "عنترية وشعبوية"^(٢٧).

وكما كشف طوفان الأقصى عن تيار "الصهيونية العربية"، فإن التضحيات الكبيرة التي قدّمها المقاومة الفلسطينية واللبنانية على مستوى القادة الشهداء، قد أبانت عن نفسيات مريضة ومُنحطة لم تتورع عن التشفي في المقاومة والتندّر من جمهورها، والتقليل من شأن فاعليتها في الواقع، حتى أنّ بعض الأبواق والأصوات التي تنطق بلسان عربي، بدت صهيونية أكثر من الصهاينة أنفسهم، وكما كانت بعض وسائل الإعلام العربية عنواناً لهذا التيار، فإنّ الموقف من استشهاد يحيى السنوار رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في غزة شكّل نقطة اللاعودة، فقد مضى هذا التيار في تبني السردية الصهيونية بشأن الشهيد البطل بلا رُتوش. وقد تجلّى ذلك في منشورات بعض النشطاء العرب على منصة "إكس" (تويتر سابقاً)، فمثلاً كتب حسين الوادعي تعليقاً على استشهاد السنوار: "كان البطل العربي المهزوم في الستينيات قومياً عسكرياً ذا رؤية تقدّمية مهما كان خللها، لكن بطل اليوم طائفي دموي مُرثّن لقوى إقليمية. لقد مات السنوار مهزوماً ووحيداً ومطارداً ومعزولاً وعاجزاً عن الهرب أو حتى رفع يديه في لحظاته الأخيرة".

* "معركة العمود": مصطلح ساخر أُطلق للتقليل من العمليات العسكرية التي أعلنها حزب الله في بداية "جبهة الإسناد" لغزة، في إشارة إلى تركيزه على استهداف أبراج الاتصالات، وكاميرات المراقبة، وأعمدة التجسس والإشارة الإسرائيلية على طول الحدود، وليس اسمًا رسميًا للعملية.

(٢٧) الرشيد، أسامة. أصداء الرواية الإسرائيلية في حسابات شخصيات عربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي: "إكس" نموذجًا. مركز الجزيرة للدراسات. ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <http://studies.aljazeera.net/ar/article/6082>

وكتب حسين حنشي: "قتيل غير مهم، نهاية مخزية ومهملية، جرى قصف بيت يوم أمس واليوم تمشيط لجنود/ فقالوا: القتل هذا يشبه السنوار، الإسرائيلي قصف منزلاً فيه ثلاثة لا يعلم أن السنوار أحدهم، هذا معنى حرفي لآية: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)".

وكتب محمد عبدالله الكميم: "بعد هلاك السنوار سأقولها بملء الفم وبكل قناعة وليس معنى الجميع، شكراً إسرائيل العظمى، شكراً سيد بنيامين ننتباهو، شكراً سيد جو بايدن، شكراً شعب الله المختار، استمروا وسنقف إلى جانبكم للخلاص من محور المقاومة ومحور الشر الذي يعيق بناء دولتنا ودولتكم ويهدد أمننا وأمنكم".

صحيفة عكاظ السعودية ظهرت في عددها الأسبوعي بتاريخ ١٩ أكتوبر/ تشرين أول بهذا العنوان العريض: "إسرائيل تُلحق السنوار بهنية... حماس" بلا رأس".

كذلك بثَّ برنامج (إم بي سي في أسبوع) تقريراً بعنوان: "ألفية الخلاص من الإرهابيين... الشخصيات التي روعت العالم وسفكت الدماء"، وكانت المفاجأة أن الشخصيات المقصودة هي قيادات معروفة في محور المقاومة؛ الأمر الذي أثار غضباً شعبياً؛ إذ خرج العشرات في بغداد واقتحموا مكتب قناة إم بي سي السعودية، ما اضطر القناة إلى التراجع وحذف التقرير من قناتها على يوتيوب.

وعلى قناة "العربية" السعودية استثمرت الصهيونية في شخصية تُدعى محمد علي الحسيني، في أكثر من حوار مُتلفز، انصبت أقواله على التهكم والسخرية من المقاومة والتنبؤ باغتيال قياداتها، مثل الشهيد السيد/ حسن نصرالله.

وبعد استشهاد السنوار ظهر نفس الشخص بذات الأسلوب على ذات القناة، مُحدراً الناطق باسم كتائب القسام أبو عبيدة بأنه سيلقى نفس مصير القادة الشهداء

نتائج وتوصيات

كشفت الدراسة أنَّ تيار "الصهيونية العربية" قد وجد في معركة طوفان الأقصى فرصةً أكبر للتعبير عن نفسه في مختلف الأبعاد السياسية والثقافية والاقتصادية؛ إذ عمل هذا التيار على خدمة الموقف السياسي للأنظمة العربية الرسمية التي سلكت درب التطبيع مع الكيان الصهيوني بشكلٍ مُعلن أو باتت على وشك، ونتيجة للغطاء الرسمي المصحوب بضخ إعلامي كبير، تنامت الأصوات الشاذة التي اجتهدت في تشويه المقاومة وتسخيف منطقتها، والسخرية من رموزها، والتشقي في استشهاد قادتها، بالموازاة مع مُباركة العدوان الصهيوني على غزة، وتبرير جرائم التوحش التي يرتكبها بحق المدنيين في غزة.

وفي الشق الاقتصادي، فإنَّ "الصهيونية العربية" في الإطار الرسمي أو القطاع الخاص، سارعت لإنقاذ الكيان الغاصب من تأثيرات الحصار البحري - الذي ضربته جبهة الإسناد اليمنية - على ميناء أم الرِّشَاش (إيلات)، فيما حجبت مساعداتها الإنسانية عن الشعب الفلسطيني، ولزمت الصمت تجاه حرب التجويع التي تعرّض لها مئات الآلاف من الفلسطينيين.

وفي مواجهة هذا التيار المنفُلت عن القيم الدينية والأخلاقية والعروبية، تُوصي الدراسة بالمزيد من العمل باتجاه رصد المظاهر النظرية والعملية للصهاينة العرب، وكشف العلاقات الظاهرة والمستترة بين "الصهيونية العربية" وبين مشاريع ومخططات كيان الاحتلال ذات العلاقة بتصفية القضية الفلسطينية، وإعادة رسم ملامح وخرائط ما يسمى بـ "الشرق الأوسط الجديد"، في إطار مشروع "إسرائيل الكبرى"، وترسيخ معادلة الاستباحة الشاملة، التي لا تقتصر على احتلال المزيد من الأراضي العربية، بل تحوّل دون المقاومة والمواجهة، وتصلّ إلى طمس الهوية العربية والإسلامية، وخلق ثقافة جديدة لا مكان معها لحرية الأمة وكرامتها وسيادة الدول العربية واستقلالها.

إضافةً إلى أهمية الوعي بدور وضرورة المقاومة بوصفها جدار الصّدِّ الأول في مواجهة المشروع الصهيوني ومتفرعاته السياسية والثقافية.

مدلول التطبيع وتطبيقاته في الاستراتيجية الإسرائيلية

طالب محمد الحسني

مقدمة

يُستخدم مصطلح "التطبيع" بشكل أوسع لتوصيف "العلاقات العربية الإسرائيلية" على أنه لا يتطابق مع المفهوم السياسي للتعبير عن استقامة العلاقات بين دولتين أو كيانين عند الحالة الطبيعية أو التقليدية، فضلاً عن أن العدو الإسرائيلي ينظر إلى مفهوم التطبيع وتطبيقاته بطريقته الخاصة؛ بما يجعل "السلام" أو بناء العلاقات ثُلَيَّ أهدافاً استراتيجية تكتيكية بعيدة المدى في كثيرٍ من الحالات.

تدرس هذه الورقة مدلول التطبيع وتطبيقاته في الاستراتيجية الإسرائيلية، وتشمل المدة الزمنية الممتدة من ١٩٤٩ – ٢٠٢٥.

تستند الورقة البحثية على أحداث ووقائع تُظهر سلوك كيان العدو الإسرائيلي وتطبيقاته للاتفاقيات الموقعة تحت إشراف الأمم المتحدة أو "الوسيط الأمريكي" منذ اتفاقيات "رودس" ١٩٤٩، كما تستند على تصريحات وكتابات ووثائق تاريخية.

إنَّنا نبحت عن مآلات ومصائر في "الصراع العربي الإسرائيلي" ارتبطت بالتنازلات الدبلوماسية والكتابات التاريخية والأرشفة العالمي بمفهوم "السلام مع إسرائيل"، في حين أن هذه التنازلات تتعلق بقرارات قيادات عربية مختلف عليها في سياق المواجهة أو انتزعت بقوة السلاح وقوة الحليف الدبلوماسي المهيمن. تتعلق الإشكالية التي تُقدمها الورقة بالمدلول السياسي والتطبيقي "للتطبيع مع إسرائيل" من منظور الاستراتيجية الإسرائيلية.

لا تُعد الدراسة جديدة بالنظر إلى عشرات البحوث ومئات الدراسات والكتب التي تناولت التطبيع من زوايا متعددة خلال نحو سبعة عقود، لكنَّ الدراسة ستبدو مقارنة مختلفة وحديثة بفعل تزامنها مع تشكُّل مفاهيم وتطبيقات جديدة "للتطبيع مع إسرائيل"، على غرار اتفاقيات "أبراهام" ١٥ سبتمبر / أيلول ٢٠٢٠، التي ابتدأت من توقيع الإمارات والبحرين، مُروراً بتوقيع المغرب في العام نفسه، ومؤخراً التحاق كازاخستان - فبراير / شباط ٢٠٢٥ - وفي الطريق على الأرجح المملكة العربية السعودية ودول عربية وإسلامية أخرى.

تقسيم الدراسة

تُقسَّم الدراسة إلى أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الهدن واتفاقيات "السلام" في النصف الأخير من القرن العشرين.
- المبحث الثاني: اتفاقيات "أبراهام" ٢٠٢٠.
- المبحث الثالث: التطبيع بعد ٧ أكتوبر ٢٠٢٣.
- المبحث الرابع: مركزية "الاستباحة" وهامشية "التطبيع".

المبحث الأول:

الهدن واتفاقيات "السلام" في النصف الأخير من القرن العشرين

عندما أعلنت الأمم المتحدة قرار ١٨١ الذي يقضي بتقسيم فلسطين بوصفها واحدة من الجنايات التاريخية الأولى للمنظمة الدولية، في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧ أبدت مجموعات الضغط الصهيونية إلحاحًا كبيرًا على التصويت لمشروع القرار، والبدء في تنفيذه على جغرافية فلسطين التاريخية، وقد منح القرار ما أطلق عليها "الدولة اليهودية" ٥٦٪ مقابل ٤٤٪ للدولة الفلسطينية.

كان الإصرار الإسرائيلي على انتزاع القرار خطوة أولى تؤسس لـ "الاعتراف الدولي بشرعية دولة يهودية" على أكثر من نصف جغرافية فلسطين، في حين أنَّ المضمّر كان التوسع والحدود المفتوحة وغير المعرّفة، وهو ما حدث لاحقًا، ولا يزال جزءًا من الحرب.

لقد تشكّل السلوك الأول للكيفية التي سيتعامل بها الكيان الصهيوني مع المجتمع الدولي، مثلما تشكّل الضغط الأمريكي والبريطاني على الأمم المتحدة، وتحويلها إلى مركز ثقل قابل للتوظيف عند الضرورة.

كتب آرثر سولزبرجر - الذي كان يتولى منصب ناشر صحيفة نيويورك تايمز آنذاك - في وصف السلوك الإسرائيلي: "إنني أمقت أساليب الإكراه التي يتبعها الصهاينة الذين لم يتورعوا عن استخدام وسائل اقتصادية لإسكات الأشخاص الذين يخالفونهم الرأي...، وإنني أعارض محاولة الاغتيال الخُلقي التي يطبقونها على الذين لا يوافقونهم الرأي"^(١).

بعد مدة وجيزة أُغتيل الوسيط الأممي السويسري "الكونت برنادوت" عندما قدّم مقترحات يرفض خلالها التوسع الإسرائيلي على الأراضي التي حددتها الأمم المتحدة لما سُمّي

(١) Lilienthal, Alfred. Book on Times' Editor Helps Explain Media Bias for Israel. Washington Report on Middle East Affairs. June 13, 1989. available at: <https://2u.pw/BHT8fq>

بـ"الدولة اليهودية"، بعد أن بدأت العصابات الصهيونية باجتياح القرى والمدن الفلسطينية في أحداث النكبة الفلسطينية العربية عام ١٩٤٨، مع ذلك لم يتغير الدعم الأمريكي والبريطاني، واستمرت خطط الاستعمار البريطاني في الانسحاب من الأراضي الفلسطينية التي من المقرر أن تكون ضمن الدولة الفلسطينية المفترضة.

ومثلما برز الصلف الصهيوني في التعامل مع "التحركات الدبلوماسية" التي تقوم بها الأمم المتحدة، ستكشف اتفاقيات "رودس" التي جاءت نتيجة للانتكاسة العربية ١٩٤٨-١٩٤٩ سلوكا احتياليًا وعدائيًا واستغلاليًا بلا حدود يمارسه الكيان.

أولاً: اتفاقيات "رودس": المكاسب الإسرائيلية والتنازلات العربية

إنَّ اتفاقيات "رودس"^(٢) التي تُعد أول معاهدة بين دول عربية وكيان العدو الإسرائيلي، التي عُرفت أنها "اتفاقيات هدن" لوقف حرب العصابات الصهيونية (لم تعترف الدول العربية بالدولة اليهودية)، الدول العربية (مصر ولبنان وسوريا والأردن)، وقد كشفت للعدو الإسرائيلي خيوط أولية لرسم "استراتيجية الحرب ووقف الحرب" وليس "السلام" مع الدول العربية المحيطة بفلسطين.

لم يُستخدم مصطلح التطبيع طوال العقدين اللذين سبقا "كامب ديفيد"، وباستطاعة أي باحث أن يستنبط ميلاد الأفكار الإسرائيلية الأولية لما سيصبح فيما بعد "السلام، التطبيع، التواصل أو العلاقات"، وإنَّ كل هذه المفاهيم حتى الآن لا تعمل بالمعنى الحقيقي. صحيح أنَّ الاتفاقيات التي وقَّعت مع كل دولة عربية منفردة لم تكن اتفاقيات سلام دائم أو اعتراف وتطبيع، لكن الكيان تعامل معها بوصفها إنجازًا مزدوجًا عسكريًا ودبلوماسيًا في ثلاثة مسارات:

(٢) اتفاقيات الهدنة العامة بين الدول العربية و"إسرائيل" (اتفاقيات رودس)، ١٩٤٩.

(١) عَزَلَ إسرائيلي للدور العربي عن تحركاته وتوسُّعه في الأراضي الفلسطينية، ومن ثمَّ لم تكن تُعني سوى وقف القتال مع الجبهات العربية حينها.

(٢) تقسيم الموقف العربي الموحد عن طريق توقيع اتفاقيات الهدنة مع كل دولة بشكل منفرد وتاريخ مختلف، وحتى شروط متفاوتة.

(٣) تَسْلِيح العصابات التي بدأت بالتطهير العرقي في فلسطين على غرار "الهاغاناه" بكل ما تستطيع من الأسلحة والمعدات العسكرية. لقد أدرك الكيان في الأشهر الأولى التي تلت "هدن رودس" أنَّ المخاوف من المحيط العربي والإسلامي ليست كبيرة، وأنَّ التوسُّع خارج الأراضي الفلسطينية لن يكون معجزة.

إنَّ بنود اتفاقيات "رودس" بين الدول العربية و"إسرائيل" تُفْضِي إلى حالة تفضيل عسكرية وسياسية تتجاوز التخلي عن دعم الفلسطينيين، من بين ذلك الآتي:

• إيجاد مناطق عازلة ومنزوعة السلاح (٤) مناطق على الحدود السورية والمصرية مع الأراضي الفلسطينية و٣ مناطق مع الأردن).

• التمهيد لـ"اتفاقيات سلام دائم".

وقد مثَّلت نتائج اتفاقيات "رودس" مساحة غربيَّة للتحرك في الساحة العربية لأول مرة بملف يحمل عنوان "سلام عربي إسرائيلي"، ولم يكن ذلك مجرد أفكار لعرض نظري، بل تحوَّلت فيما بعد لنقاشات وتجارب دخلت أروقة بعض الأنظمة العربية، كان الأخطر منها على الإطلاق - التي لا تزال منهجية تيارات عربية وحتى إسلامية - تلك المتعلقة بالتشكيك في جدوى المواجهة، إنَّ هذا التأسيس الفكري والسياسي كان المرغوب أمريكياً، من هنا ولد مفهوم محوَّر، عُرف بـ"محور الدول المعتدلة" أو "الاعتدال".

وفي وقت تكوَّن لدى كيان العدو الإسرائيلي مدلول أولي لما عُرف بـ"التطبيع" لاحقاً، ويشير إلى إمكانية عزل الموقف العربي عن فلسطين باستخدام "القوة ثم التفاوض".

خرج مشروع الرئيس التونسي بورقيبة عام ١٩٦٥ أول نظام عربي رسمي يدعو إلى مفاوضات مع العدو الإسرائيلي واعتراف متبادل، لم ينجح المشروع لكنه الثقل إسرائيلياً.

ثانياً: نكسة ٦٧ ومؤتمر الخرطوم والقرار الأممي ٢٤٢

لقد أحدثت هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧ العربية أمام كيان العدو الإسرائيلي - وتوسّعه إلى أراضي دول عربية في مصر ولبنان وسوريا والأردن - واقعاً جديداً، لكنه لم يكن بالضرورة سيقود إلى "كامب ديفيد" (الأرض مقابل السلام). إن خسارة دول عربية بعض أراضيها وتعرّضها للهزيمة يفتح شهية العدو الإسرائيلي نحو التوسع؛ يشكّل ذلك تهديداً وجودياً للدول العربية بالمؤدّى الاستراتيجي والاستدلال المنطقي، وعسكرياً وسياسياً وجغرافياً، كان من الطبيعي أن يعني ذلك تكثيف الاستعداد.

جاءت مخرجات المؤتمر العربي في الخرطوم، الشهير بمؤتمر "اللاءات الثلاث" ("لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف بإسرائيل")^(٣)، بمقام الحاجة الملحة والاستجابة الواقعية لتلك المخاوف.

لقد أعادت القمة الجمهور العربي والإسلامي إلى الساحة بعد شعوره بالإحباط، وتضاعف حراك القوميين والتيارات اليسارية، وكان الافتراض الرئيس أن يميل الموقف الرسمي العربي إلى تعزيز الجهد العسكري ودعم المقاومة الفلسطينية، لكن التثبّع التاريخي لا يقول ذلك، لاءات قمة الخرطوم لم تترجم، لم تصمد في كل الأقطار العربية باستثناء الساحة السورية.

انعكس ذلك سريعاً على الساحة السياسية والأدبية والثقافية، وبرّر بعضهم الميول نحو التسويات بأنّ الظهير الدولي (الاتحاد السوفيتي) يدعم أيضاً حق "إسرائيل" في الوجود، وهو ما تقوله الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الطريق لدعم القرار الدولي ٢٤٢^(٤).

يتضمن القرار جنائية جديدة بعد جنائية التقسيم والاعتراف بكيان العدو الإسرائيلي،

(٣) مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧.. قمة اللاءات الثلاث. الجزيرة نت. ٢٩ أغسطس ٢٠١٦. متاح على الرابط: <https://aja.me/ghv5a>

(٤) القرار رقم ٢٤٢.. الانسحاب من أراض محتلة. الجزيرة نت. ٣ أكتوبر ٢٠٠٤. متاح على الرابط: <https://aja.me/78an9>

ويشمل الآتي:

- انقلاّباً أعمياً على قرار تقسيم الأراضي الفلسطينية ١٨١.
- اعترافاً بحدود جديدة لكيان العدو الإسرائيلي داخل الأراضي الفلسطينية المعروفة بحدود ٦٧، وتشكّل نحو ٨٠٪ من الجغرافية الفلسطينية.
- حق "إسرائيل" في العيش بسلام والتنقل بحرية في البحار العربية (يسمى القرار المسالك الدولية المائية في المنطقة العربية).

ومرة أخرى اعترف كيان العدو الإسرائيلي بعد ممانعة بهذا القرار وأضرع عدم تنفيذه، بينما عملت الولايات المتحدة الأمريكية على دفع النظام العربي الرسمي إلى الاعتراف به، وكان من الصعب أن يجري ذلك مع الخسائر العسكرية التي لحقت بالدول العربية، من سيناء وصولاً إلى قناة السويس وشرم الشيخ مصرياً، وهضبة الجولان سورياً، وقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أنّ حرباً قادمة لا بُدَّ أن تحدث؛ لذلك بدأ هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي آنذاك بالتحرك لاختطاف تسوية تُحقق أهداف العدو الإسرائيلي، المعادلة الخاسرة (الأرض مقابل السلام)، يتضمن القرار الدولي ٢٤٢ ذلك.

ومن المفارقات التاريخية الكبيرة أنّ الدول العربية تُطالب الآن بتنفيذ القرار، بينما لا ينفذه كيان العدو الإسرائيلي. إنّ التمتع العربي بدأ يُكسر عندما قدّم الرئيس المصري أنور السادات مبادرة ١٩٧١ التي تشير إلى مفاوضات تتضمن انسحاباً إسرائيلياً من الأراضي التي احتلّها في حرب ١٩٦٧.

فيما بعد تقلّصت مطالب الرئيس المصري إلى الحد الذي يطلب انسحاباً محدوداً من سيناء مرحلة أولى، ووجد ردّاً أمريكياً يقول: "إنه يجب التوازن بين أمن "إسرائيل" والسيادة المصرية أو العربية"^(٥).

(٥) U.S. Department of State, FRUS, 1976-1969, Vol. XXV, Doc. 40, "Memorandum From Kissinger to Nixon," March 12, 1973. available at: <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1969-76v25/d40>

لقد أُدخِل في هذه الحالة مفهوم الأمن الإسرائيلي إلى جانب السلام معها، كان المطلوب عزل الدول العربية مرة أخرى عن مساعدة الفلسطينيين مقابل إعادة الأراضي العربية المحتلة خارج فلسطين، وهدنة طويلة مع كيان العدو الإسرائيلي، وكان أحد الأهداف الرئيسة الإسرائيلية الذي يمكن أن يوفره "التطبيع العربي الإسرائيلي" أن تكون للتو مفهوم جديد يشير إلى الأمن الحيوي للكيان.

إنَّ تطبيقات التطبيع عند كيان العدو الإسرائيلي هو نتيجة يفرضها العمل العسكري أو قرار دولي، وليس بالضرورة أن يكون مباشرًا، وأي تسوية تقوم على نتائج حرب ٦٧ وكذلك الاعتراف بالقرار الدولي ٢٤٢ هي بالضرورة نتيجة تُحقق غاية من غايات الاعتراف بالكيان وتطبيع العلاقة معه.

لا يتوقف توصيف التطبيع في الاستراتيجية الإسرائيلية وتطبيقاته بصورة واحدة، وإنما يرتبط بتطور الصراع، ومن ثمَّ لا يتشابه بين مرحلة وأخرى إلا بالقدر الذي تُحدده نتائج الحرب العسكرية "مبدأ القوة والمناورة السياسية، مبدأ الحيلة وقوة الحليف، مبدأ الهيمنة العربية".

ثالثًا: انتصار أكتوبر ١٩٧٣ وردّة "كامب ديفيد"

كان انتصار أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٣ المشترك - المصري السوري - ضربة مُوجعة للمعادلات التي تُطرح إسرائيليًا وأمريكيًا، وصحيح أنها لم تُحقق كل الأهداف، لكنَّها أسست لمرحلة جديدة يُمكن البناء عليها بما في ذلك تغيير موقف الاتحاد السوفيتي وسط الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

إنَّ إنجاز حرب أكتوبر / تشرين الأول حرَّك دولاً عربية للمشاركة في المواجهة، والعودة لدعم العمل العسكري الفلسطيني، بينما حوّل الرئيس المصري أنور السادات النصر إلى هزيمة كبرى، ففي السنوات المقبلة بعد ٧٣ جعل نتائج الانتصار مسارًا تفاوضيًا استسلاميًا، فضلًا عن كسر التكامل العربي في مواجهة الكيان.

لقد بدأ الرئيس السادات يقود حرباً نفسية داخلية عندما صوّر أنّ الولايات المتحدة الأمريكية ستدخل الحرب، أعطى مبرراً لإعلانه في ٢٠ من أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٣ طلباً لوقف إطلاق النار، وقد مهّد ذلك لمشروع القرار الأمريكي السوفيتي المشترك عن طريق مجلس الأمن الدولي ٣٣٨.

وسقط الخيار العسكري المصري في زيارة السادات إلى القدس المحتلة ١٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧ بوصفه مقدمة لـ "كامب ديفيد" صنع ذلك متغيراً كبيراً في الفكر السياسي لكيان العدو الإسرائيلي فيما يتعلق بالتطبيع، فعلى الفور رفع الكيان سقف اشتراطاته وأدخل مفاهيم جديدة على المدلول المتغير للتطبيع، لم تكن "كامب ديفيد" من المنظور الإسرائيلي حالة يجب أن تقتصر على فصل مصر عن فلسطين والدول العربية في الصراع، وإنما أن تؤسس لتحول يبدأ من الاعتراف بـ "شرعية الكيان بوصفه دولة يهودية قومية صهيونية"؛ يقتضي ذلك البدء بوضع القيود في أي علاقة حتى غير عسكرية مع منظمة التحرير الفلسطينية.

إنّ الاتفاقات السابقة من "رودس" إلى "كامب ديفيد" ستصنع الاتفاقات اللاحقة: "أوسلو" و "وادي عربة"؛ إذ إنّ ما بعد "كامب ديفيد" ستقود إلى ثلاثة مسارات:

- التخلي عن الأرض الفلسطينية بما في ذلك المقدسات الإسلامية والمسيحية.
- التخلي عن الشعب الفلسطيني وحقه في استعادة أرضه.
- استبعاد الأنظمة والجيوش العربية من المواجهة ضد كيان العدو الإسرائيلي.

لقد ارتبط بقاء منظمة التحرير الفلسطينية بعوامل جديدة وتحالفات نشأت خارج الاعتماد على الأنظمة العربية، كان أبرز هذه العوامل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ولهذا لم تكن زيارة الرئيس الفلسطيني وقائد منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات - وهو أول زعيم عربي يزور طهران بعد انتصار الثورة - مجرد موقف عابر. ومع دخول العقد

الثامن من القرن العشرين بدأت تتشكّل المقاومات الفلسطينية واللبنانية بالطريقة المنتظمة، الأولى لمواصلة الكفاح الفلسطيني المسلح والثانية لمواجهة اجتياح العدو الإسرائيلي جنوب لبنان وصولاً إلى بيروت، مع ذلك تزامن صعود المقاومات ذات الميول الدينية الإسلامية مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، إنّ هذا التزامن الذي يُحاول بعضهم توظيفه بشكل مغاير للواقع إنما حدث مصادفة، لقد كان صيرورة ستحدث حتى لو لم تنتصر الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، ومع ذلك كان لهذا الحدث الإيراني الإسلامي أن يُغيّر احتفالات العدو الإسرائيلي بعزل مصر عن طريق "كامب ديفيد" إلى بكائيات ومخاوف حين تبنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وصنعت تحالفات واسعة مع التيارات العربية القومية واليسارية المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل المراقب للأحداث الفلسطينية والراصد لعمليات المقاومات في فلسطين ولبنان منذ ١٩٨٣ سيُدرك كيف أنّها غيرت كثيراً في طبيعة الاستخدام الأمريكي للتطبيع.

ومنذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ مروراً بالعمليات الفدائية الفلسطينية واللبنانية وصولاً إلى "أوسلو" ١٩٩٣ دفع الكيان أثماً باهظة من الخسائر؛ أربكت استراتيجية التمدد والتوسع خارج الأراضي الفلسطينية ضمن مشروع "إسرائيل الكبرى". وقد ركّز العدو الإسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية في المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية التي سبقت "أوسلو" على مسارين:

- سحب سلاح المقاومة الفلسطينية وتفكيكها.
 - نقل منظمة التحرير والأجنحة التابعة لها من مواجهة المحتل إلى مواجهة المقاومين.
- لقد أدرك الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات أنّ تطبيق الأهداف الإسرائيلية غير ممكنة، مثلما أدرك أنّ مماطلة الكيان وحتى الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار الأممي ٢٤٢ والاعتراف بالدولة الفلسطينية مسألة حتمية، وهو ما حدث.

إنَّ المتغير الجديد هو أنَّ تسليح المقاومة الفلسطينية وفعلها العسكري المُوجع يُغيّر بالضرورة أهداف العدو الإسرائيلي التي كان يحصل عليها إما بالقوة العسكرية وإما بالمناوره السياسية، ينطبق الأمر نفسه مع المقاومة الإسلامية في لبنان. لم تكن المقاومات تعني فقط الفعل العسكري، بل الاحتضان الشعبي والالتفاف الجماهيري، وهذان العاملان دُمرا قدرة الكيان على فرض التطبيع الإجباري الذي حاول ممارساته في لبنان، حين دُمّر البنية الاقتصادية اللبنانية وأراد تصدير إنتاجه للبنانيين بعد أن أنشأ معسكرات للعملاء على غرار جيش العميل حداد. لقد حدثت المقاومة الشعبية نفسها في الجولان السوري المحتل؛ إذ استمر الحراك الشعبي الجماهيري في مدن هضبة الجولان، من مؤتمر "مجدل شمس" الذي رَفَضَ الضم الإسرائيلي وصولاً إلى إضراب ١٩٨٢ ثم المواجهات العسكرية في ١٩٨٧ وطوال العقود التي مضت. وعلى الرغم من فشل "أوسلو" بقي المدلول الإسرائيلي للتطبيع فيها يعني "السلام مقابل نزع السلاح".

المبحث الثاني:

اتفاقات "أبراهام" ٢٠٢٠

أولاً: المقاومة تُحاصر "التطبيع"

- عندما أعلنت المقاومة اللبنانية - حزب الله - تحرير جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، سجّل ذلك متغيراً استراتيجياً كبيراً في الشرق الأوسط، يتجاوز الصراع العربي الإسرائيلي؛ لمجموعة أسباب:
- الانسحاب الإسرائيلي أول انحسار عن أراضٍ عربية جرت السيطرة عليها وإخضاعها بالقوة العسكرية بالطريقة التي حدثت خلال نكسة ١٩٦٧.
 - لم يحصل الكيان على مقابل ذلك الانسحاب، بما في ذلك إرغام الدولة اللبنانية على التطبيع وفق معادلة "الأرض مقابل السلام" التي فرضها على مصر والأردن، وكان لا يزال يحاول فرضها على سوريا منذ احتلال هضبة الجولان.
 - أنّ الهزيمة العسكرية لـ "الجيش الإسرائيلي" حدثت من مقاومة مُسلحة، تمثّل نسبة محدودة من الشعب اللبناني الصغير، بينما قدّم "الجيش" الصهيوني نفسه قوة تهزم جيشاً وتحالفات مجتمعة.
 - أن انتصار حزب الله فرض على الولايات المتحدة الأمريكية واقعاً صعباً، بعد عمليات المقاومة اللبنانية التي هزّت واشنطن، أبرزها العملية الفدائية.
 - مثّل انتصار المقاومة اللبنانية انتصاراً لمشروع التحالف العربي مع إيران.
 - التجربة اللبنانية تُعزز مقاومة الشعب الفلسطيني التي كانت هي الأخرى قد توسّعت وصولاً إلى إجبار العدو الإسرائيلي على الانسحاب بالطريقة نفسها من قطاع غزة عام ٢٠٠٥.

- أعاد الانتصار العربي الثقة الشعبية العربية والإسلامية باقتدار قوة صغيرة كحزب الله أن تهزم الاحتلال.

أما علاقة هذا بالشرق الأوسط فيأتي من مجموع الأسباب السابقة، مُضافاً إليها عودة التعقيدات أمام هيمنة أمريكية مطلقة على المنطقة بعد عشر سنوات من انهيار الاتحاد السوفيتي وشبكة التحالفات التي أسسها في العالم العربي، مثلت - لمدة طويلة - واحدة من الجبهات الداعمة لمشروع تحرير فلسطين، وقد عملت التيارات اليسارية والقومية على منع توسُّع "التطبيع" مع كيان العدو الإسرائيلي، ومن الثوابت أنَّ الأجنحة الكبرى من هذه التيارات تحالفت مع إيران منذ انهيار الاتحاد السوفيتي ولا تزال حتى اللحظة.

لقد كان المفكرون في كيان العدو الإسرائيلي يرون أنَّ واحداً من العوائق أمام "التطبيع الإسرائيلي العربي" بالمدلول الإجماعي (أي القبول بـ"إسرائيل" ليس دولةً شرعية فقط وإنما قوة نافذة) هو استمرار وجود التحالفات العربية مع الاتحاد السوفيتي على الرغم من محدوديته بوصفه تحالفاً عسكرياً؛ إذ ينظر إليها إسرائيل بتصوراته الفكرية القومية الممانعة للقبول بالتطبيع أولاً، وثانياً: جانب شراكة التيارات القومية في إبقاء جزء كبير من الوطن العربي بعيداً عن النفوذ الكامل للولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فقد أمكن رؤية المنطقة العربية كلها تحت الجناح الأمريكي بعد سنواتٍ محدودة من تفكك الاتحاد السوفيتي، بما في ذلك الأنظمة العربية اليسارية القومية التي حوّلت تحالفاتها من الشرق إلى الغرب، كان ذلك يلي الحاجة الإسرائيلية إلى ما أطلق عليه الصهيوني "إسحاق رابين"، النفوذ الغربي المطلق على الشرق الأوسط مقدمة لـ"علاقات إسرائيلية عربية نافعة". ومثلما يضع المفكرون والاستراتيجيون في كيان العدو الإسرائيلي التيارات القومية وفكرها السياسي الجماهيري عائقاً أمام التطبيع بالمدلول القسري مع الدول العربية، يضعون في المقدمة الإسلام. إنَّ جميع ألوان الصهيونية من العلمانيين واليساريين والليبراليين إلى اليمين بجناحيه الديني والقومي يتفقون على أنَّ الإسلام يُمثل العائق الأول والمتجدد أمام "علاقات إسرائيلية عربية" تحقق حاجة الكيان إلى التطبيع الشامل.

ثانيًا: الإسلام والقومية.. موانع لـ"الاندماج الإسرائيلي بالمنطقة"

ولمّا كانت إزاحة الإسلام عن الساحة العامة في العالم العربي والإسلامي معقّدة، بدت إمكانيات تضبيب مشهد المقاومات الإسلامية التي تحمل السلاح وتُقاتل الاحتلال مكتملة عن طريق "جماعات إسلامية" مسلحة، تُقاتل "بشراسة"، لكنّ خارج فلسطين، وفي كل مكان يمكن العثور على "سياح" أجانب في بلدان عربية وإسلامية، لقد كانت تلك بداية ما عُرف لاحقًا بـ"تنظيم القاعدة" في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، وهذه المرة ليس بدون سابق إنذار؛ لأنّ تلك الجماعات تشكّلت في الحرب الأمريكية السوفيتية في أفغانستان والشيستان، انتشرت "القاعدة" قبل أن تحمل هذا الاسم؛ إذ تستطيع في العالم العربي والإسلامي قتل المسلمين بوصفهم مرتدين، وقتل المسيحيين لأنهم مسيحيون، من الجزائر (خلال العشرية السوداء) إلى اليمن إلى مصر إلى الصومال وأفريقيا، وصولًا إلى دول وسط آسيا وشرقها.

أُحيلت الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية بمجموعها، الكتابات السياسية والفكرية والفلسفية، والنقاشات، والحوارات الإذاعية والتلفزيونية، ربما في كل "الشرق الأوسط" إلى "ظاهرة القاعدة" وأفعالها، بينما كان الأهم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني عرض "القاعدة" "واجهته للإسلام"، ثم بدا لهم مع وجود حملة موازية ضد إيران أن يجعلوا ذلك "طقسًا لإخراج تيار الاعتدال"، يبدأ التيار من الأنظمة الرسمية التي إن لم تكن "اعتدالًا" فهي تطرّف، واتسع مدلول "الاعتدال" وعدم "الاعتدال" ليشمل الكثير من الجهات.

- تعريف الاشتراكية والأحزاب اليسارية بتيارات الارتداد والإلحاد.
- تعريف الثورة الإسلامية في إيران بسلسلة من المصطلحات المذهبية والطائفية
- بينما جرى تعريف "القاعدة" بـ"الجماعات الجهادية"، ولاحقًا في ٢٠١٣ بـ"الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش).

لا تبحث هذه الدراسة التأصيل أو التفرع للتوظيف الأمريكي والصهيوني وحتى بعض العربي، وتعمّد حالة الخلط بين مقاومة الهيمنة الأمريكية بما في ذلك الاحتلال الإسرائيلي و"مقاومة" المقاومة بجماعات "إسلامية" مسلحة لا تقاتل في فلسطين، هذه المقاربة للاستدلال على "التجميع الإسرائيلي" لهذا التركيب والتوزيع الأمريكي بما يخدم "التطبيع" مفهوم جديد يتجاوز فلسطين إلى المنطقة دون حرب. توقّع مفكرون صهاينة منذ وقت مبكر أمثال "جدعون شمشوني" حدوث تطور في "العلاقات بين إسرائيل والدول العربية" في جميع الاتجاهات، وعقب "كامب ديفيد" وضعت بعض الدراسات المتخصصة خرائط وبرامج تشمل التعاون الاقتصادي والسياسي ستحدث في المستقبل، وقد حدث جزء كبير منها خلال العقدين الماضيين. مطلع ثمانينيات القرن العشرين الماضي أشارت التوقعات، التي وضعتها مراكز بحثية على غرار "المعهد الإسرائيلي لتخطيط أبحاث السلام" إلى مركزية ميناء حيفا الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة في النشاط التجاري والاقتصادي في الشرق الأوسط بفعل "علاقات التطبيع العربية الإسرائيلية"، وفي السنوات الماضية بدأ العدو الإسرائيلي يربط الميناء بالمنطقة العربية بما في ذلك الخط البري من الهند إلى فلسطين، مروراً بالدول العربية. ومنذ وقت مبكر وضع رئيس وزراء حكومة العدو الإسرائيلي "إسحاق رابين" تصوراً عميقاً، يقف على استراتيجية طويلة تبدأ من دراسة ما يمكن وصفها عوامل ديمومة "السلام العربي الإسرائيلي"، وهي عبارة عن مطالب بتغييرات جذرية، ويعتقد "رابين" أنّ التغييرات الاستراتيجية تتعلق بـ "التسليم بوجود إسرائيل دولة يهودية مستقلة".

التسليم وفق "رابين" يأتي ضمن ثلاثة مجالات:

- **المجال الأول:** العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل: إنّ لب الصراع هو عدم التسليم بوجود "إسرائيل" دولة يهودية مستقلة ذات سيادة، ويرى رابين - وفقاً للكاتب محسن عوض^(٦) - أنّ عدم التسليم ينعكس على تطلعات البلدان العربية

(٦) انظر: عوض، محسن. (١٩٨٩). الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلدان العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

في العلاقة مع "إسرائيل"، وجوهر "السلام" قبل كل شيء هو ذلك التسليم بالوجود.

- **المجال الثاني:** العلاقات العربية-العربية وعدم الاستقرار: يرى "رابين" أنَّ الصراعات العربية الداخلية وعدم الاستقرار يؤثر في وجود "علاقات وسلام" مستقر مع "إسرائيل"، وهذه الزاوية يجري تقييمها عن طريق أنَّ المجتمع العربي متصارع وغير قابل لأن يكون موحدًا. الإشارة الضمنية تميل لإقرار "رابين" أنَّ أي دولة عربية كيفما كان نفوذها كبيرًا لن تتمكن من توحيد الدول الأخرى في الذهاب إلى "سلام مع إسرائيل"، ومن ثمَّ فإنَّها ستبقى واحدة من التعقيدات ما لم يكن هناك تغييرات جذرية ثقافية في الوطن العربي.

- **المجال الثالث:** النفوذ الغربي على الشرق الأوسط: يعتقد "رابين" أنَّ "السلام مع إسرائيل" يرتبط بالصراع الدولي على المنطقة، ولذلك فإن النفوذ الغربي الأمريكي سيسهم في دفع الدول العربية نحو التطبيع، والتطبيع بالتصور الذي وضعه، واغتيال "رابين" في ١٩٨٥ قبل سقوط الاتحاد السوفيتي ووسط الحرب العراقية الإيرانية، لقد كان يرى أن المنطقة تستعد لهذا النفوذ، ومن ثمَّ الطريق نحو التطبيع.

إنَّ ربع قرن (١٩٩٠ - ٢٠١٥) من الإنتاج السياسي والفكري والاجتماعي العربي وجزء غربي، بالإضافة إلى دوائر النزاع والقتال والخلافات المفتعلة، أسَّس للتطبيع بالقواعد التي أشار إليها "إسحاق رابين"، التغيير الجذري:

- الهيمنة المطلقة للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط.
- تشكيل "الاعتدال العربي" تيار التطبيع الذي يقبل بـ "إسرائيل" كما هي عليه بفكرها الصهيوني.

- رفع جميع القيود المؤثرة في اندماج "إسرائيل" سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا في المنطقة.
- الشراكة في مواجهة المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية وأي مقاومة إسلامية أو وطنية بوصفها "إرهابًا".

ذلك هو جوهر الاتفاقيات "الإبراهيمية" التي تقوم على فكرتين:

- تعديل الإسلام بما يخدم "توحيد" ما يسمى "الأديان الإبراهيمية" (الإسلام – المسيحية – اليهودية).
- تعديل ثوابت الحدود الجغرافية لجعل المنطقة كلها شبيهة بولايات فدرالية يمكن أن يكون مركزها القدس.

ثالثًا: "الإبراهيمية" .. نحو التسليم بضرورة "الوجود الإسرائيلي"

إنَّ الأفكار المتعلقة بـ "الإبراهيمية" والتصورات المطروحة للشرق الأوسط بناء على نظرية "توحيد الأديان الإبراهيمية الثلاثة طريق لإزالة الصراع وصناعة السلام والتنمية والتكامل الاقتصادي بين دول المنطقة"، بُنيت في الأساس لنقل "التطبيع" مع كيان العدو الإسرائيلي من مربع الاعتراف المتبادل والعلاقات الدبلوماسية إلى مُتَّسع أكبر يتضمن "التسامح الديني، التبادل الثقافي"، والشراكة المفتوحة استنادًا إلى "المشترك الإبراهيمي".

ما أُطلق عليه "بيت العائلة الإبراهيمية" (مسجدًا وكنيسة وكنيس) في أبوظبي بالإمارات، لم يكن سوى ترجمةً عملية لمشروع "الإبراهيمية" بالتصميم الذي أرادته "الصهيونية المسيحية" سواء في الاتجاه الذي يرتبط بالتواصل الثقافي بين الدول الموقعة على "اتفاقية التطبيع أبراهام" أم بين كيان العدو الإسرائيلي، ويدخل في ذلك تعديل المناهج التعليمية وصولًا إلى جميع أشكال التواصل الإعلامي والرياضي، أو في الاتجاه الاقتصادي المرتبط بالتبادل التجاري والأسواق والاستثمارات، امتدادًا إلى مشروع الطريق البري من الهند إلى أوروبا عبر دول الخليج والأردن و"إسرائيل".

الفكرة المحورية في تصوّر "المشترك الإبراهيمي" إذابة الهويات العربية القومية والإسلامية لإقامة هوية جديدة تقبل بوجود "إسرائيل"، واختيار الإدارة الأمريكية والصهيونية المسيحية لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ليس سوى محاولة لتوظيف الأبوة الإبراهيمية في إزالة الخلافات بين أتباع الإسلام والمسيحية واليهودية، لكن التفسير ينتهي في النهاية إلى غاية واحدة "مركزية إسرائيل". من يعملون لصالح هذا المشروع منذ أكثر من ثلاثة عقود ويحصلون على رعاية أمريكية وإسرائيلية، سواء عن طريق جامعات أمريكية، مثل "هارفارد" أم مراكز أبحاث مرتبطة بالخارجية الأمريكية، ينسبون نشاطهم ضمن ما يعدونه "سلام الشرق الأوسط".

استناداً لـ "الإبراهيمية" بات مدلول التطبيع مع "إسرائيل" لا يرتبط بالعلاقات التقليدية، وإثما التسليم بصعوبة السلام في الشرق الأوسط دون وجود "إسرائيل" مركزاً لا فرعاً.

رابعاً: المشتركات.. التحالفات

إنّ المشتركات في السياسة الخارجية لدول عربية على غرار السعودية والإمارات والبحرين والمغرب والأردن مع كيان العدو الإسرائيلي - التي تحدد الدول العدو والصديقة، الكيانات العدو والصديقة - تقود بالضرورة إلى تشكّل التحالفات، وهذا ما يتطابق إلى حد كبير في السياسة الخارجية لمجموعة الدول المذكورة مع "إسرائيل" تجاه إيران ومجموعة محور المقاومة بما في ذلك فصائل المقاومة الفلسطينية، وأبرزها حركتا حماس والجهاد الإسلامي.

وفي أكثر من مناسبة تصوّرت الولايات المتحدة الأمريكية أنّ بإمكانها توظيف هذا التقارب وتحويله إلى "نيتو عربي إسرائيلي" أو "شرق أوسطي"، تقف الكثير من السياسات الخارجية الأمريكية في المنطقة على هذه القاعدة من التلاقي بين بعض الدول العربية و"إسرائيل"، لا سيما في السنوات العشر الأخيرة التي ترافقت مع صعود "محمد بن سلمان". وعلى الرغم من المخاوف، بدت الرياض أكثر حماساً لحرب أمريكية أوروبية

وحتى إسرائيلية على إيران، علاوة على تصنيفها للفصائل المقاومة الفلسطينية وحزب الله وحركة أنصار الله في اليمن "جماعات إرهابية"، وسَعَتْ إلى إسقاطها. أُضيف كيان العدو الإسرائيلي ضمن دول متعددة في مناورات بحرية ما بعد ٢٠١٥ وأثناء الحرب على اليمن، كما تسمح مجموعة دول الخليج باستثناء سلطنة عُمان، باستخدام العدو الإسرائيلي لأجوائها حتى في حالة العدوان الأمريكي والإسرائيلي على اليمن.

إنَّ هذا التلاقي صورة متقدمة من رؤية العدو الإسرائيلي لتطبيقات "التطبيع" تعمل من دون مقابل.

المبحث الثالث:

التطبيع بعد ٧ أكتوبر ٢٠٢٣

قبل أن تجري أحداث عملية طوفان الأقصى العسكرية - فجر السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، التي استهدفت الوجود العسكري والاستيطاني في مستعمرات غلاف غزة جنوب غرب الأراضي الفلسطينية المحتلة، التي قادتها كتائب القسام بمشاركة سرايا القدس، الجناحان العسكريان لحركتي حماس والجهاد الإسلاميتين - كان العالم رسميًا وشبه شعبي - باستثناء محور المقاومة - يتصرف بمعزل عمّا إذا كان عليه مسؤولية أخلاقية وإنسانية ترتبط بالقضية الفلسطينية.

لم يكن ذلك نسياناً، فحراك الشعب الفلسطيني ومقاومته لم تتوقف على مدى أكثر من ١٠٠ عام، وإنما فكرة انتقال صامت إلى مربع "التعايش" الذي يعني إغفال حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه المسلوبة وعودة "ملايين" الفلسطينيين في الشتات إلى موطنهم الأصلي، فلسطين التاريخية.

بحسب مركز الإحصاء الفلسطيني فإن ٧,٤ ملايين فلسطيني من أصل ١٤,٨ مليوناً يعيشون في "المهجر"، ما يقارب النصف. النصف الآخر نحو ٧,٤ ملايين موزعون في الضفة الغربية المحتلة والقدس وغزة ومناطق الداخل الفلسطيني "أراضي ٤٨"^(٧).

هذا الوجود يتعرض لانتهاكات غير مسبوقة في التاريخ، ابتداءً من خارطة توزيعه على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، مروراً بعدم حصوله على دولة كاملة السيادة حتى بحدود ١٩٦٧، وصولاً إلى الزحف الإسرائيلي المستمر لمحاولة تصفية القضية الفلسطينية وفرض واقع جديد لا يشمل "اعترافاً"، دولياً بوجود مشكلة اسمها احتلال فلسطين، على الرغم من اعتراف ١٤٢ دولة عضواً في الأمم المتحدة بالدولة الفلسطينية من أصل ١٩٣ دولة.

(٧) أوضاع السكان في فلسطين بمناسبة اليوم العالمي للسكان. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. ١١ يوليو ٢٠٢٤. متاح على

الرابط: <https://www.pcbs.gov.ps/ar/post-details/?postId=22046>

أولاً: ضرورة ٧ أكتوبر تصفية القضية الفلسطينية

خلال السنوات التي سبقت طوفان الأقصى سارع العدو الإسرائيلي إلى توسيع الاستيطان، شمل ذلك التوسع القدس المحتلة، كذلك ضاعفت وتيرة التغييرات البنيوية في المسجد الأقصى المبارك، وتحولت المعتقلات للشعب الفلسطيني إلى أرقام طويلة ومؤبدات، وحتى إعدامات جراء التعذيب والإهمال الطبي. وفي المقابل وبدلاً من الضغط العربي على كيان العدو الإسرائيلي انتقل النظام الرسمي إلى الضغط على المقاومات الفلسطينية، لم يكن هناك تفسيرات منطقية لحملة الشيطنة التي قادها الإعلام العربي، السعودي والإماراتي وبعض القنوات المصرية ضد حركتي حماس والجihad الإسلاميتين، وصولاً إلى "إبداء الضيق والملل" من القضية الفلسطينية بشكل كامل.

وُقِّعت اتفاقيات "أبراهام" مع كيان العدو الإسرائيلي وسط سلسلة من السلوكيات والإجراءات التي مارسها الدول الموقعة وأيضاً السعودية، واستهدفت الشعب الفلسطيني، أبرزها الآتي:

- تصنيف المقاومة الفلسطينية واللبنانية حماس والجihad الإسلامي وحزب الله "تنظيمات إرهابية".
- اعتقال قيادات وأعضاء من حماس في المملكة العربية السعودية.
- تجريم التبرعات لفلسطين، وتجريم واعتقال من يقوم بأي نشاط يرتبط بالحصول على مساعدات.
- حظر أي تواصل مع حماس والجihad الإسلامي وحزب الله أو تأييدها للاعتبارات السابقة.

وحين وضعت واشنطن ما عُرف لاحقاً بـ "صفقة القرن"، واتخذت إدارة ترمب إجراءات على غرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، كانت تلك إشارات واضحة إلى تسريع تصفية القضية الفلسطينية، كل ذلك جعل طوفان الأقصى ضرورة.

لقد احتاج العالم أن يجري إشعاره بأن الاستحقاق الفلسطيني الذي يجري تجاهله لا يمكنه أن يموت، وأنّ الشعب الذي يتعرض للإبادة منذ ٨ عقود يتعارض مع الشعارات المتعلقة بالإنسانية والحرية والحياة الكريمة، التي يحاول الغرب تسويقها: إما أن تبدأ من فلسطين أو لا تبدأ، ولهذا فإن تغييب القضية الفلسطينية ومحاولة عزلها في محيط محدود وتقييد حضورها بدت ضرورة لتمكين الغرب من الاستمرار في تسويق نفسه راعياً وحامياً "للحقوق" في العالم.

كان لطوفان الأقصى في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ عدة نتائج، تمثلت في الآتي:

- أولاً: التأكيد على هشاشة العدو الإسرائيلي مخبراًتياً وأمنياً وعسكرياً.
- ثانياً: إيقاف المجتمع الدولي والهيئات الأممية التي توقفت عند الردود التقليدية الروتينية أمام انتهاكات كيان الاحتلال على الأراضي الفلسطينية.
- ثالثاً: التأثير في استمرار التطبيع بالمدلول الذي كان قد بدأ بعد اتفاقات "أبراهام" والذي كان يعني تشكيل وعي جديد في العالم العربي والإسلامي يقوم على مسألتين:

- الأولى: شيطنة المقاومة والتحريض عليها، ومن ثم إسقاط القضية الفلسطينية في الوعي الجمعي.

- الثانية: تمجيد التعايش و"الأخوة الإبراهيمية" بوابةً للقبول بـ"دمج الاحتلال في المنطقة" رسمياً وشعبياً.

من أي الخلفيات أرذت أن تأتي لتفكيك هذه المفارقة ستجدها إنجازاً "إسرائيلياً أمريكياً"، هذا نتاج عقود طويلة من العمل والتخطيط في المنطقة، لقد أخذت هذه الدول أو بالأحرى الأنظمة خارج دائرة الصراع العربي الإسرائيلي بالتدريج وعن طريق مراحل زمنية ممتدة على ظهر ما يقترب من ٨٠ عامًا.

إن ذلك مدخل لفهم كيف وصل الحال ببلدان عربية إلى أن تُشارك في الدفاع عن العدو الإسرائيلي، ولو قيل لرجل أدرك بوعي ستينيات القرن الماضي الصراع الوجودي مع كيان العدو الإسرائيلي سيكون من الصعب تغطية هذه الفجوة بين جيل ذلك العقد واليوم، إنَّه انتقال من الكفاح المسلح المدعوم إلى الحوار إلى السلام الموهوم إلى الحياد السلبي المذموم قبل أن يتطور خلال الثلاثة عقود الأخيرة إلى الشراكة في الأهداف الاستراتيجية مع الكيان.

ثانيًا: الإبادة في غزة تعزل الكيان وتُعيد التضامن الدولي مع فلسطين

كانت مهمة كيان العدو الإسرائيلي - بعد طوفان الأقصى تتجاوز الانتقام من العملية الفلسطينية إلى الحرب الوجودية، وتدمير غزة وارتكاب إبادة وإجبار الشعب الفلسطيني على مغادرتها - تكمن في الحصول على الأهداف الاستراتيجية التي تُغيّر الشرق الأوسط.

وبما أنَّ الدراسة لا تُركز على الحرب وما بعدها إلا بالقدر الذي يتوافق مع تأثير ما بعد طوفان الأقصى في التطبيع، يمكن الإشارة إلى نقاط معينة لبعض النتائج:

- العملية الفلسطينية تحولت من عملية عسكرية في الداخل الفلسطيني وفي محيط غزة إلى أن تضع كيان العدو الإسرائيلي أمام واقع مختلف عندما وجد نفسه لأول مرة يُقصف من بلدان عربية وإسلامية، اليمن وإيران والمقاومة العراقية.
- استمرار الحرب؛ إذ كانت أطول حرب يقوم بها كيان العدو الإسرائيلي دون تحقيق الأهداف الرئيسة. إنَّ الاغتيالات التي نفذها بما في ذلك اغتيال القيادات الأولى للمقاومة الفلسطينية واللبنانية: الشهيد السيد/حسن نصرالله، والشهيد إسماعيل هنية، وصولاً إلى قيادات عسكرية وسياسية في إيران واليمن، لم تؤدِّ إلى انهيار محور المقاومة، ولهذا احتاج التحالف الأمريكي الإسرائيلي إلى اتفاقيات في كل هذه الجبهات:

(١) اتفاقية وقف إطلاق النار مع المقاومة اللبنانية (حزب الله).

(٢) إعلان الولايات المتحدة الأمريكية إنهاء عملياتها البحرية والجوية ضد اليمن.

(٣) إعلان وقف الحرب مع إيران بعد ١٢ يوما.

(٤) إعلان "شرم الشيخ" بشأن وقف إطلاق النار في غزة.

• العزلة الشعبية الدولية، لقد أدت الإبادة الإسرائيلية في غزة إلى انتفاضة عالمية متضامنة مع الشعب الفلسطيني، تجاوزت في أوروبا وأمريكا جهود عقود من الدعاية الإعلامية والسياسية لكيان العدو الإسرائيلي. لا أشير هنا إلى موقف الحكومات وبعض الأنظمة حول العالم؛ إذ إن لها سياقًا مختلفًا ومقاربة أخرى، ولكن إلى الوعي الشعبي العالمي، وإنَّ أضرار ذلك كبيرة على الدعاية الصهيونية التي تقوم بها اللوبيات اليهودية الإنجيلية المتخصصة بالترويج لـ"إسرائيل"، سواء كان ذلك دينيًا عن طريق السردية المسيحية الإنجيلية، أو سياسيًا كالسردية المرتبطة بأنَّ "إسرائيل" دولة ديمقراطية رائدة في الشرق الأوسط، الذي يُقدم للغرب أنَّه منطقة غير ديمقراطية ومضطربًا وطاردًا للحريات، وساحة للحروب والنزاعات.

هذه الصحة العالمية تجاه فلسطين لم تكن مسألة عابرة، لا لأنَّها شكلت ضغطًا على الاحتلال وقبل ذلك على الدول الراعية له بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وإن كان ذلك مهم، إلا أنَّ الأهم الذي مثَّل ضربة قاسية لكيان الاحتلال، إنَّ جهود سنوات وعقود - شملت أنشطة حكومات ومؤسسات إعلامية وتنقيفية ترعاها المنظمات اليهودية في أوروبا والغرب عمومًا وتتعلق بطمس أي حضور للقضية الفلسطينية في الوعي الشعبي الجماهيري العالمي - قد سقطت بينما انتصر التعاطف مع فلسطين وغزة على التهمة الفجة المتعلقة بـ"معاداة السامية".

لم يقتصر مؤشر التحول الشعبي تجاه القضية الفلسطينية من الإهمال إلى التضامن على القطيعة مع العدو الإسرائيلي بوصفه مرتكب إبادةٍ جماعية في غزة، بل يشمل أيضًا الحكومات الغربية التي حملت لعقود التناقض بين التلبّس الغربي بالحقوق ورعايتها وحماية كيان احتلالي مُستعمر ويرتكب جرائم إبادة، وانكشاف الغرب بشكل أوضح عقب طوفان الأقصى، فالعالم مُجمَعُ الآن على أنَّ دولًا مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا شركاء في الإبادة الإسرائيلية في غزة، في المقابل نمت التيارات اليسارية والثورية في أوروبا وأمريكا اللاتينية بالتزامن مع احتدام الصراع بين اليسار واليمين الأوروبي على حساب "الوسط".

ثالثًا: وهم الانتصار

حتى وقتٍ قصيرٍ قبل الإعلان عن وقف إطلاق النار في غزة وفقًا لـ "خارطة ترمب" الموقعة في شرم الشيخ بمصر، كان نتنياهو يُقرُّ أنَّ وقف الحرب قبل تحقيق جميع الأهداف سيُمثِّل مكافأة لحماس. تقول الأحزاب اليمينية المتحالفة مع نتنياهو على غرار "القوة الصهيونية" التي يقودها "سيموريتش" أو "يهوديت" الذي يقوده المتطرف "إيتمار بن غفير" إنَّ الموافقة على وقف إطلاق النار "هزيمة وطنية"^(٨)، بالإضافة إلى ذلك ثمة إجماع في أحزاب المعارضة في الكيان على أنَّ نتنياهو قاد "إسرائيل" إلى طريقٍ مغلقٍ على الرغم من الدعم الأمريكي، فمع الحرب الطويلة والأثمان الكبيرة التي دُفعت - سواء في المؤسسة العسكرية أم المؤسسات الأمنية - كانت النتائج على المستوى الاستراتيجي متواضعة.

ما يُقرُّ به العدو الإسرائيلي بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشرة يمكن رصده في النقاط الآتية:

- إخفاق ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ لم يرمم.
- أظهرت الحرب هشاشة الردع الإسرائيلي؛ فقد تمكّنت جبهات، مثل اليمن وإيران وحزب الله أن تضرب أهدافًا في جميع جغرافية فلسطين المحتلة.

(٨) بن غفير يهدد بالانسحاب من الحكومة إذا بقيت حماس بعد صفقة الأسرى. وكالة الأناضول للأخبار. ٤ أكتوبر ٢٠٢٥.

متاح على الرابط: <https://v.aa.com.tr/3707800>

- من دون الدعم الأمريكي المفتوح لم يكن بإمكان الكيان مواصلة الحرب.
- الخسائر التي تعرّض لها "الجيش الإسرائيلي" غير مسبوقة.
- واجه الكيان لأول مرة حُكمًا من محكمة الجنايات الدولية يقضي بحجز "نتنياهو" ووزير حربه السابق "يواف غالانت" بوصفهما مجرمي حرب.
- واجه الكيان عزلة دولية هي الأكبر منذ عقود.
- ارتفعت الهجرة العكسية من الأراضي الفلسطينية.

الإنجازات التكتيكية – على رغم أنَّها كبيرة في فلسطين ولبنان – لم تُمكن الكيان حتى الآن من تحقيق أهدافه الرئيسة، كتفكيك المقاومة وسحب سلاحها وإنهاء وجودها.

باستثناء التحوّل الكبير في سوريا نتيجة سقوط النظام السابق (نظام بشار الأسد)، فإنَّ كيان العدو الإسرائيلي يشغل على وهم الانتصار، بينما لا تزال أهدافه بعيدة وأمام تعقيدات هائلة، ولن يكون بمقدوره تنفيذ استراتيجيته الحالية القائمة على ما يسميها "منع حماس وحزب الله من ترميم قدراتهم" عن طريق الغارات بين مدة وأخرى أو الاغتيالات أو تدمير البنية التحتية العسكرية.

وبالمقارنة مع نتائج حروب العدو الإسرائيلي السابقة، فقد كانت مكاسبه في ١٩٦٧ واسعة مع تكاليف محدودة، بالإضافة إلى أرباح سياسية غيرت في موازين الصراع العربي الإسرائيلي.

إنَّ "التطبيع" بالتعريف وبالدلول وبالتطبيقات – التي تطوّرت قبل طوفان الأقصى بما يُترجم دمج "إسرائيل" في المنطقة؛ للحصول على "السلام" – قد تأثرت على المستوى الشعبي العالمي، ويُقرُّ العدو الإسرائيلي بالحاجة إلى جهود كبيرة لمواجهة ما يسميه "تحريض" الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا وأمريكا على "إسرائيل"، وفي الواقع هو اعتراف مع محاولة التضليل، فالجاليات المذكورة وإن كان لها دورٌ فهو محدودٌ وضمن تحوّل كبير في العالم لصالح فلسطين بوصفها قضية أخلاقية وإنسانية وقضية شعبٍ يُواجه تطهيراً عرقياً

المبحث الرابع:

مركزية "الاستباحة" وهامشية "التطبيع"

أولاً: عقبات تهدد الكيان الإسرائيلي

في العقدين الثالث والرابع من تاريخ كيان العدو الإسرائيلي تضخّم لديه إدراك مخاطر ما قد يواجهه إذا بقيت حدود سيطرته داخل الأراضي الفلسطينية وبعض الدول العربية، حتى مع توسعه بعد حرب ٦٧، ويمكن حصر هذه المخاطر في ثلاثة مهيّدات:

الأول: المساحة المحدودة للهجرة اليهودية المتواضعة: بالنسبة لمشروع "إسرائيل الكبرى"، بالإضافة إلى العدد المتواضع لليهود الذين انتقلوا إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، كانت جغرافية فلسطين المحتلة والعدد المحدود للمستوطنين اليهود لا تخدم الأهداف المرسومة للاحتلال، بما في ذلك الخطط الغربية التي ستشارك كيان العدو الإسرائيلي مواجهة ذلك، ولا يزال هذا التهديد قائماً، ومُثّل تحدياً لكيان العدو الإسرائيلي، وسيجري الحديث عنه لاحقاً ضمن (مبدأ الاستيطان).

الثاني: الخنق المائي: إمكانية تعرض المدن الاستيطانية لخنق مائي شديد، وهو تهديد كبير يقيد كيان العدو الإسرائيلي، وقد شرعت الدراسات والكتابات والاستشرافات التي أجرتها مراكز دراسات إسرائيلية وأوروبية بوضع هذا التهديد أمام الكيان.

تشمل منابع المياه إلى الأراضي الفلسطينية ثلاث دول عربية حدودية، الأردن وسوريا ولبنان، وقد حُدّدت في أكثر من مصدر إسرائيلي، وكذلك من تصريحات قادة كيان العدو الإسرائيلي على غرار "بن غوريون" وحتى قادة الحركة الصهيونية. والغريب أنّ مسألة المياه بُحِثت قبل احتلال فلسطين وقبل النكبة العربية ١٩٤٨.

يقول بن غوريون في وثيقة سرية كتبها عام ١٩٤١ ونشرتها وزارة الخارجية البريطانية: "علينا أن نتذكر أنه من أجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد أن تكون مياه الأردن والليطاني مشمولة داخل حدودنا"^(٩).

لاحقًا ظهر ما أطلق عليه "مشروع جونسون" الذي دعمه الرئيس الأمريكي أيزنهاور، ويقوم على فكرة "مفاوضة قاسية" مع حكومات الأردن وسوريا ولبنان ومصر على تقاسم مياه وروافد نهر الأردن مع "إسرائيل"^(١٠).

لقد وضعت الصهيونية مسألة توفير المياه وتجنب أية أزمات متعلقة به بالسيطرة على ثلاثة مصادر:

(١) هضبة الجولان السوري المحتل وجبل الشيخ الاستراتيجي.

(٢) مياه نهر الأردن والضفة الغربية المحتلة.

(٣) السيطرة على مياه الليطاني اللبنانية.

الثالث: وجود مقاومة وسلاح تخطط بالأراضي الفلسطينية المحتلة: ومثلما عرفنا أن أحد أهم مخرجات اتفاقيات "رودس" ولاحقًا اتفاقية "كامب ديفيد" يتعلق بعزل القضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال على الفلسطينيين، وإخراج الدول العربية المحيطة بفلسطين عن الصراع – وقد تمكن كيان العدو الإسرائيلي من تحقيق ذلك بالحرب وحققها الحليف الأمريكي الأوروبي باتفاقيات "التطبيع" بالمدلول النفعي – فإنَّ تطبيق هذه الاستراتيجية مع سوريا ولبنان تحديدًا لا تكفي أن تؤدي إلى تحقيق "الأمن المطلق".

إنَّ هذه المهددات الثلاث لا يُمكن معالجتها من منظور إسرائيلي إلا باجتياح سوريا ولبنان والأردن أو أجزاء محدَّدة منها؛ لتحقيق الأمن المائي، ومن ثم التفاوض لتحقيق التطبيع، فالتطبيع لا قيمة له حين يُبقى كيان العدو الإسرائيلي بعيدًا عن السيطرة والنفوذ.

(٩) السهلي، نبيل. إسرائيل وسرقة المياه الفلسطينية. الجزيرة نت. ٢٤ يناير ٢٠١٠. متاح على الرابط: <https://aja.me/gvhue>

(١٠) مشاريع المياه في فلسطين: مخططات مستمرة للتهويد. الجزيرة نت. ٣ أكتوبر ٢٠٠٤. متاح على الرابط: <https://aja.me/rcdkqc>

لقد تمسك كيان العدو الإسرائيلي بهضبة الجولان السوري المحتلة، وكان يريد التوسع أكثر في سوريا، لكنه اصطدم بنتائج انتصار أكتوبر السوري-المصري، ولاحقاً رفض دمشق والرئيس السوري الراحل حافظ الأسد أي تنازلات، ولذلك جاء اجتياح العدو الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢.

تقاطع في الغزو الإسرائيلي للمنطقة الحدودية للأراضي الفلسطينية أربعة أهداف رئيسية:

- (١) تأمين التدفق المائي كما أشرنا سابقاً، ولا يأتي ذلك دون السيطرة الفعلية على أجزاء من سوريا، وصولاً إلى جنوب لبنان حتى صور.
 - (٢) منع قيام أي مقاومة فلسطينية أو عربية في هذه الدول.
 - (٣) توسيع الاستيطان وإظهار التفوق الإسرائيلي للحصول على مزيد من الهجرات اليهودية وتوقف الهجرة المعاكسة.
 - (٤) المنظور الديني اليهودي الذي يرى في لبنان وسوريا والأردن وأجزاء من السعودية، وصولاً إلى العراق "حق يهودي".
- خلال احتلال العدو الإسرائيلي جنوب لبنان ظهر ما أشير إليه "بالتطبيع القهري"، وهي حالة احتلال مكتملة يجري خلالها التعامل مع كيان العدو الإسرائيلي تحت الإكراه، وكسر العزلة التي يعانيها باستخدام القوة.

إنَّ تحقيق هذه الاستراتيجية فشلت فشلاً ذريعاً، لا باستخدام الحوار والتفاوض العربي مع كيان العدو الإسرائيلي، وإنما بالمقاومة المسلحة، ما حققته المقاومة اللبنانية (حزب الله) والمقاومات الفلسطينية في لبنان (فتح والجبهة الشعبية والجهاد وحماس وغيرها) كان أكبر من مواجهة للعدو الإسرائيلي وهزيمته ودحره، وتُجمل تلك المنجزات في الآتي:

- إعادة الاعتبار للمقاومة المسلحة والسلاح والجهاد.
- وحدة سلاح المقاوم العربي وكسر عزل القضية الفلسطينية وعزل الدول العربية المحيطة.

- تحرير الأرض وإعادة كيان العدو الإسرائيلي وعصاباته مهزومًا.
- كسر الردع والتفوق الذي كان يستخدمه على أكثر من اتجاه.
- منع التوسع الاستيطاني وإجهاض مشروع "إسرائيل الكبرى".

هذه النتائج التي حققتها المقاومة الفلسطينية واللبنانية بدعم من الجمهورية الإسلامية الإيرانية والنظام السوري في دمشق، مثّلت زلزالاً كبيراً لرعاة كيان الاحتلال الدوليين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وهو تحوّل كبير كان يُمكن البناء عليه ومراكمته، فوجود إيران بسقفٍ عالٍ في أشد الظروف قسوة على القضية الفلسطينية، أعاد التعويض عن مصر بعد "كامب ديفيد"، بل وربما عن الوطن العربي والإسلامي، وقد أدركت الأحزاب اليسارية والقومية أهمية ذلك؛ فعززت علاقتها بالجمهورية الإسلامية في إيران، ويمكن القول: إنّ الحرب الإيرانية العراقية شوّشت بشكل كبير على التحالف مع إيران، ولم يكن ذلك منصفًا؛ إذ لا يمكن تبرير الحرب العراقية على إيران حتى بمزاعم تصدير الثورة الإسلامية.

ولأننا قد أشرنا إلى التמוضع العربي من الصراع مع كيان العدو الإسرائيلي ضمن مدلولات التطبيع المختلفة، سنعود إلى التطبيقات التي يُريدها العدو الإسرائيلي مع المحيط العربي سوريا ولبنان تحديدًا، وفي درجة ثالثة الأردن، ولكن هذه المرة بعد هزيمة العدو الإسرائيلي أمام المقاومة اللبنانية حزب الله وطرده من الجنوب اللبناني، فبعد أن كان يحاول فرض التطبيع القهري بدأ يقارب نتائج عقد ما قبل الألفين بطريقة لا تتجاهل المتغير المهم، مقاومة وسلاحًا وحاضنة وحضورًا وتأثيرًا عربيًا وإسلاميًا.

هل يعود مشروع التطبيع بمدلول آخر؟ لقد أراد ذلك في سوريا لفصلها عن المحور الذي تَكُونُ للتو، لكنه لم يجد ذلك ممكنًا، فضلًا عن امتداد نفوذ سوريا إلى لبنان والعلاقة السورية بالمقاومة اللبنانية. لقد تقرر لديه - بصورة أو بأخرى - أن التهديد لم يعد يعالج بـ"التطبيع"، وإنما بالتغيير وإعادة تشكيل المنطقة بعيدًا عن نظام البعث السوري وحزب الله والمقاومة الفلسطينية (حماس والفصائل الأخرى)، هذه معركة لا يُقدر عليها وهي موضوعة

على التحالف الأمريكي الأوروبي وبعض العرب. ساعودُ لاحقًا إلى المقاربة الإسرائيلية لهذه المنطقة، ولنقرأ الآن كيف أدارت الولايات المتحدة الأمريكية معركة إسقاط المحور المقاوم لصالح كيان العدو الإسرائيلي.

ثانيًا: السعودية خارج "الصراع العربي الإسرائيلي"

باستثناءات محدودة خلال العشرية الستينية ونصف السبعينية، كانت السعودية باردة تجاه الصراع مع كيان العدو الإسرائيلي كما لو أنها غير معنية، لكنها بالفعل لم تكن ضد القضية الفلسطينية والمقاومة، وهذا لا يكفي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، كان على واشنطن إيجاد معركة جديدة للسعودية بعد مشاركتها فيما يسمى مواجهة "التمدد الشيوعي" والاتحاد السوفيتي.

هذه المرة نحو إيران، المعركة الأكثر خطرًا على فلسطين والمنطقة حتى هذه اللحظة، وبمراجعة سريعة لتاريخ "المعركة المفتعلة" سنجد اندفاعًا سعودي، وتطورت لاحقًا إلى أحزاب ومكونات إسلامية، اتسعت هذه الجبهة تدريجيًا، وكانت متعددة الأوجه، السياسية والفكرية والمذهبية والطائفية والعنصرية القومية.

كان ذلك وجه السعودية في التسعينيات، في المقابل احتضنت السعودية على المستوى الرسمي كل المسارات التي تُشجع على عقد "اتفاقيات" مع العدو الإسرائيلي. إذا أخذنا الأدلة الأقرب علينا العودة إلى سلسلة الحلقات التي سجلها الأمير السعودي بندر بن سلطان الذي شغل مناصب متعددة، بينها سفير المملكة في الولايات المتحدة الأمريكية – الحلقات سُجِّلت وُبُثَّت في قناة "العربية" السعودية في العام ٢٠٢٠ – شَيِّطَن خلالها القضية الفلسطينية وكل أجندتها بما في ذلك السلطة الفلسطينية، وما نريده هو حديثه عن دور السعودية في اتفاقية "أوسلو" وإقناع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات^(١١).

(١١) بندر بن سلطان: مبارك علم باتفاق أوسلو من رابين.. وأبو عمار قفز يرقص وقال تحررت فلسطين. عكاظ. ٦ أكتوبر ٢٠٢٠. متاح على الرابط: <https://www.okaz.com.sa/news/local/2043832>

ثالثًا: "مبادرة السلام العربية" (بيروت ٢٠٠٢)

عندما حدثت الانتفاضة الفلسطينية في العام ٢٠٠٠ وبالتزامن مع طرد كيان العدو الإسرائيلي من جنوب لبنان، كانت المملكة العربية السعودية على خلاف طويل مع الجزء الأكبر من الدول العربية والإسلامية.

- أزمة وتوتر مع إيران.
- أزمة وتوتر مع العراق (خلال حكم صدام).
- أزمة وقطعية مع سوريا وحزب الله.
- شكوك ومخاوف مع التواصل التقليدي العابر مع المقاومة الفلسطينية.
- خلاف مع النظام الليبي والرئيس معمر القذافي.
- خلافات متعددة وتباين مع بعض الأنظمة في مجلس التعاون الخليجي.

وفي الوقت الذي كانت الجيوش الأمريكية الأوروبية تغزو أفغانستان لـ "إسقاط طالبان" واحتلال البلاد التي زعمت أنها قاتلت لتحريرها من الاتحاد السوفيتي، بدأ الغزو الأمريكي يستهدف كل المنطقة في معركة واشنطن، التي حدّدت مقاييسها وآدواتها تحت عنوان "محاربة الإرهاب"، وفي حين سقطت المدن الأفغانية وغيّرت أمريكا النظام في "كابول" وأقامت نظامًا بديلاً، أعلنت الاستعداد لغزو العراق وتغيير نظام صدام حسين، كان المبرر الذي أشهر هو "امتلاك أسلحة دمار شامل"، وكذلك جرى الحديث عن سوريا.

مع كل ما سبق، ووسط هذه الظروف أعلنت الرياض في القمة العربية المنعقدة ببلبنان، ما عُرف لاحقًا بـ "مبادرة السلام العربية" (بيروت ٢٠٠٢)، التي تنص على الاعتراف بكيان العدو الإسرائيلي بحدود ٦٧^(١٢). إن السعودية التي لديها كل تلك الخلافات مع المقاومة

(١٢) مؤتمر القمة العربي الرابع عشر: مبادرة السلام العربية. الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية. ٢٨ مارس ٢٠٠٢. متاح على

الرابط: <https://2u.pw/dNtwv>

اللبنانية والمحور الذي تقوده الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كانت غير قادرة أن تقول "ما البديل"، إذا رُفض كيان العدو الإسرائيلي المبادرة!

فوق ذلك كان "التطبيع" القهري بالمدلول الذي أشرنا إليه خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان، قد بدأ يعمل مع الدول العربية وبعض الإسلامية باجتياح سياسي ونفوذ أمريكي، الدول العربية والخليجية وبينها السعودية كانت قد بدأت تتعامل تجاريًا واقتصاديًا مع الشركات الإسرائيلية، ورؤوس الأموال الإسرائيلية، وسيظهر لاحقًا أن تركي الفيصل – الأمير "المرموق والمفكر" في العائلة السعودية – عبّر في حوار جمعه بـ "الجنرال الإسرائيلي يعقوب أميدرور" في واشنطن عام ٢٠١٦: عن رؤيته لإمكانات "التعاون العربي-الإسرائيلي"، قائلاً: "أقول دائماً للمشاهدين اليهود أنه بالعقول العربية والمال اليهودي يمكننا المضي قدماً بصورة جيدة، وفكروا ما يمكن تحقيقه في المواضيع العلمية والتكنولوجيا والمسائل الإنسانية والعديد من الأمور الأخرى التي بحاجة إلى النظر إليها"^(١٣).

إنَّها الظروف والمقاربات التي لا يمكن أن تنسجم مع الحصول على أي تسوية مع كيان العدو الإسرائيلي على رغم تراجعهم، ومن ثمَّ لم يكن الكيان حريصاً على إيجاد تطبيع يتضمن تراجعاً داخل الأراضي الفلسطينية ووقف الاستيطان.

البارز في "مبادرة السلام العربية" أنَّ الاعتراف بـ "إسرائيل" مشروطٌ بقيام الدولة الفلسطينية بصيغة معينة يتم إعادتها منذ ذلك الوقت "دولة من دون جيش وسيادة كاملة"، لن يتم تطبيقها، ولكن الدول العربية بما في ذلك السعودية مارست أشكالاً متعددة من التواصل مع كيان العدو الإسرائيلي، فماذا يريد الاحتلال أكثر من ذلك!

(١٣) مملف إيران وحزب الله... تركي الفيصل: بالعقل العربي والمال اليهودي يمكننا المضي قدماً.. وجنرال إسرائيلي يوافقه: إيران نووية تهدد وجودنا. موقع CNN بالعربية. ٦ مايو ٢٠١٦. متاح على الرابط:

<https://arabic.cnn.com/middleeast/2016/05/06/prince-turkey-saudi-israel-iran-threat>

ويدرك المتابع المتواضع ببساطةٍ شديدة أنَّ "مبادرة" الرياض لن تكون مقبولة في ظروف مثل هذه، ليس لأن سقفها مرتفعًا، بل لأنَّ العدو الإسرائيلي لا يرى أنَّه بحاجةٍ لمثل هذه المبادرة، ولا يحتاج إلى مزيدٍ من "العلاقات والتطبيع" مع دول خارج المنطقة المحيطة بالأراضي الفلسطينية حتى "بوزن" السعودية تطبيعًا مقابل تنازلٍ في الأراضي الفلسطينية حتى لو كانت شكلية.

من هنا فإنَّ لـ"التطبيع" مدلولًا آخر عند كيان العدو الإسرائيلي، عندما يتعلق الأمر بالدول العربية التي لم يسبق أن دخلت في حالة صراع معه، بل تعمل لصالحه في أكثر الظروف حساسية، وتنفذ ما يمكن أن يترتب بعد أي تبادلاتٍ دبلوماسيةٍ واعترافاتٍ مُتبادلة. لن أغرق في تفاصيل العلاقات الإسرائيلية السعودية فلها بحثٌ مستقل، ما نُركِّز عليه هنا يرتبطُ بمدلول "التطبيع" في الاستراتيجية الإسرائيلية.

رابعًا: تطبيع مقابل "وعد" بالدولة الفلسطينية

بعد أكثر من ٣٣ عامًا من اتفاقية "أوسلو" و ٢٤ عامًا من "مبادرة السلام العربية" في بيروت، وعلى رغم أن العدو الإسرائيلي تجاوز كل ذلك بالاستمرار في الاستيطان وتصفية القضية الفلسطينية، ووسط الإبادة الجماعية في غزة (٢٠٢٣ - ٢٠٢٥) انتقلت السعودية إلى مسار يتناقض مع المبادرة التي تكررت الإشارة إليها: التطبيع مقابل الاعتراف الإسرائيلي بالدولة الفلسطينية، الانتقال الجديدة تقوم على فكرة جديدة، "التطبيع" مقابل مسار يُوصل إلى قيام الدولة الفلسطينية.

مُصطلح بسيط وصغير جدًا، ويمرُّ سريعًا (مسار) تطبيع مقابل وعد بالاعتراف بالدولة الفلسطينية، وهو ما عملت عليه السعودية وفرنسا طوال عامين (خلال الإبادة). يُمكن فهم هذا المسار عندما يجري الدخول إليه من المقاربة الأوروبية.

خامسًا: مقارنة سعودية أوروبية للقضية الفلسطينية

إن الدول الأوروبية، ورأس القائمة فرنسا وبريطانيا وألمانيا، تليها مباشرة إيطاليا، ومن ثم دول شرق أوروبا، لا يمكنها أن تمضي دون مقارنة جديدة للتعامل مع "إسرائيل" ما بعد المذبحة في غزة التي يصعب تغطيتها مقابل الحفاظ عليها من السقوط.

ليس هناك مناورة تلي هذا الهدف أفضل من نموذج "مؤتمر حل الدولتين" في نيويورك برعاية الأمم المتحدة بعد تمهيدٍ وحملاتٍ دعائية، أخذت وقتًا طويلًا متعمدًا لقياس انعكاس ذلك "إيجابًا" في الشارع الأوروبي، وتاليًا منح كيان العدو الإسرائيلي وقتًا كافيًا للتعامل مع التغيير الرسمي الأوروبي الناعم وغير المضّر^(١٤).

لقد جرى إشعار "إسرائيل" منذ عدة أشهر أنّ مواصلة الحرب والحصار في غزة لا تؤدي النتائج التي تخدم التحالف الأوروبي الإسرائيلي، مع وجود صوت شعبي جماهيري لا يمكن التحكم به يفرض "اتخاذ موقف".

ثانيا: ما ستقوم به الدول الأوروبية لن يكون له تأثير مباشر في "الوجود الإسرائيلي" كقطع إمداد السلاح والدعم السياسي، على أنّ ذلك لن يكون خافتًا بحيث لا يترك صدئًا واسعًا في الداخل الأوروبي، ومن ثمّ لا بد من الدفع نحو "حل الدولتين" بإعلان الاعتراف بالدولة الفلسطينية.

ثالثًا: يتضمن الاعتراف بجميع الشروط والأهداف التي يسعى لها كيان العدو الإسرائيلي منذ عقود، وتبدأ من تجريم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، تجريم سلاح المقاومة وسحبه، تفكيك حماس والفصائل الفلسطينية.

(١٤) مؤتمر حل الدولتين ينطلق في الأمم المتحدة وسط زخم دولي وترقبٍ اعترافٍ أوسع بدولة فلسطينية خلال الأيام المقبلة. بي بي

سي عربي. ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/articles/cly044r4p47o>

رابعاً: الوقوف مع "إسرائيل" في خارطة الصراع الواسعة في المنطقة، ويكون ذلك في لبنان والعراق واليمن وإيران، وإذا احتاجت ذلك في سوريا وتركيا ومصر.

ترسم هذه الخارطة عملياً رؤية مشتركة "إسرائيلية أوروبية وبعض عربية" لليوم التالي ليس في غزة، بل أوسع من ذلك بكثير.

لقد خرج "مؤتمر نيويورك" بنتيجتين:

الأولى: المطالبة بوقف استمرار الحرب والحصار في غزة "لإسقاط التبعات والتداعيات التي تعاني منها الحكومات الأوروبية أمام شعوبها"، وأيضاً ضرورة حدوث ذلك بعد الفشل الإسرائيلي العسكري، وهي مسألة يتفق معها الداخل "الإسرائيلي" نفسه (أحزاب المعارضة، تكتل المتضامنين مع عوائل الأسرى، المنشقون عن نتنياهو).

الثانية: الاعتراف بدولة فلسطينية "منزوعة السيادة"، ولا يمكن التحقق من قيام ذلك واقعياً؛ إذ إنه اعتراف على الورق، مقابل التحشيد لتبني أهداف كيان العدو الإسرائيلي بالنسبة للمقاومة والمنطقة بشكل كامل، إنها أشبه بعملية إنقاذ كبيرة لكيان العدو الإسرائيلي من مسار معقد باعتراف "النخب الإسرائيلية".

مع كل هذا التقرب، العدو الإسرائيلي اعتبره "عداء" هل يحتاج التطبيع؟ لا، لقد كان سلوك العدو الإسرائيلي واضحاً، لا تطبيع مع السعودية بأي شرط أو صيغةٍ بمدلول آخر، تطبيع قسري ستأتي إليه بوصفه أمراً واقعاً، إنَّ ذلك هو المنطق الإسرائيلي الآن، وقد دخلنا ٢٠٢٦.

لنعود إلى المقاربة الإسرائيلية لاستراتيجيتها في سوريا بعد سقوط النظام (نظام بشار الأسد) وصعود "جماعة الجولاني"، وكذلك لبنان (بعد تراجع حزب الله بحسب السردية والاعتقاد الإسرائيلي). باختصار في جملة نقاط:

سوريا

- التطبيع غير مطلوب إسرائيليًا؛ إذ لم تعد سوريا تُشكّل تهديدًا عسكريًا.
- السيطرة على الجنوب السوري وفصله عن سوريا بالقوة أو عن طريق الجماعة الدرزية (بعض الدروز) مسألة ثابتة، ويجري تكرار الحديث عنها لترسيخها.
- اتفاقات منفصلة أمنية واقتصادية وزراعية وتعاونية، وقد حدث ذلك بما أطلق عليه البيان المشترك الأمريكي الإسرائيلي السوري، يتضمن اتفاقات لا تطبيعًا.
- سوريا خالية من السلاح الثقيل إلى الأبد بالنسبة لكيان العدو الإسرائيلي.

لبنان

- وجود إسرائيلي في المناطق الحدودية اللبنانية الفلسطينية.
 - نزع السلاح والوجود المقاوم في الجنوب اللبناني.
 - اتفاقات لا تطبيع.
- الخلاصة أنّ الاستباحة مركزية بالنسبة لكيان العدو الإسرائيلي، وأنّ التطبيع في الهامش بما في ذلك مع السعودية.

الإعلام العربي المعادي للمقاومة في غزة:

دراسة في تحليل المضمون (قناة الحدث أنموذجاً)

عبدالحافظ مُعجب

ملخص:

تتناول هذه الدراسة تحليل بُنية الخطاب الإعلامي لقناة الحدث خلال تغطيتها لمعركة طوفان الأقصى منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وما تلاها من عدوان إسرائيلي وحصار شامل على قطاع غزة حتى أكتوبر ٢٠٢٥، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنّ هذه المرحلة شهدت تصاعداً ملحوظاً في توظيف لغة إعلامية متماهية مع السردية الصهيونية داخل بعض وسائل الإعلام العربية؛ إذ برز خطابٌ يُبرر المجازر المرتكبة بحق المدنيين، ويُخفي الفاعل الحقيقي في سياسات الحصار والتجويع.

تعتمد الدراسة منهج تحليل المضمون الكمي والكيفي، وتستند إلى عينة قوامها ٤٠ مادة إعلامية متنوعة شملت النشرات الإخبارية والتقارير الميدانية والمقابلات والبعث المباشر والأخبار العاجلة، وقد جرى تحليل أنماط التسمية ونبرة الخطاب ومصادر المعلومات والأطر التفسيرية وآليات الانتقاء البصري.

وتُكشف النتائج عن نمطٍ ثابتٍ من الانحياز البنيوي في خطاب القناة، يقوم على تبني الرواية الإسرائيلية في توصيف الحدث وتغييب السياق التاريخي والقانوني للاحتلال ونزع الشرعية عن المقاومة الفلسطينية، بما يجعل التغطية جزءاً من خطاب إعلامي أوسع يُعيد تشكيل الوعي العربي تجاه الصراع الفلسطيني-الصهيوني.

مشكلة الدراسة

شكّل العدوان الإسرائيلي الواسع على قطاع غزة عقِب معركة طوفان الأقصى نقطة تحوُّل مفصلية في الخطاب الإعلامي العربي؛ إذ برزت خلال هذه المرحلة أنماط لغوية وسردية جديدة داخل عدد من المنصات الإعلامية العربية اتسمت بالتماهي الواضح مع الرواية الصهيونية، وتجاوزت حدود الانحياز التقليدي إلى مستوى تبني الإطار التفسيري الإسرائيلي للأحداث، وقد تجلّى هذا التحول في تبرير المجازر المرتكبة بحق المدنيين وإخفاء الفاعل الحقيقي في سياسات الحصار والتجويع، وإعادة توصيف المقاومة الفلسطينية خارج سياقها القانوني الذي يُصنفها فعلاً تحريراً مشروعاً.

وعليه، تتمحور مشكلة الدراسة حول رصد وتحليل طبيعة الخطاب الإعلامي المنحاز في قناة الحدث والكشف عن آليات اشتغاله اللغوية والبصرية والسردية ومدى اقترابه من الخطاب الصهيوني في تعاطيه مع المقاومة الفلسطينية والقضية الفلسطينية عمومًا.

انطلقت الدراسة من مجموعة من التساؤلات الرئيسة، أبرزها:

- كيف قدّمت قناة الحدث الهوية والشرعية السياسية والعسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية ولا سيما حركتي حماس والجهاد الإسلامي في خطابها الإعلامي؟
- ما الإطار التفسيري الذي اعتمدته القناة في تغطية أحداث عملية طوفان الأقصى وتداعياتها الإنسانية والعسكرية على قطاع غزة؟
- ما الأدوات اللغوية والمصطلحية والبصرية التي وظّفتها قناة الحدث في بناء صورة ذهنية محددة حول المقاومة الفلسطينية والمقاومين؟
- كيف تعاملت القناة مع الأحداث الرمزية الكبرى وعلى رأسها استشهاد القائد يحيى السنوار؟ وما الإطار الدلالي الذي قدّمته لهذه الأحداث؟

- ما مصادر المعلومات والتحليل التي اعتمدت عليها قناة الحدث بصورة أساسية؟ وما مدى توازنها في تمثيل أطراف الصراع الفلسطيني-الصهيوني؟

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى توثيق لحظة إعلامية عربية مفصلية رافقت واحدة من أكثر الحروب دموية وتأثيراً في تاريخ الصراع الفلسطيني-الصهيوني، وكشف أدوات الدعاية المضادة للمقاومة داخل إعلام عربي موجّه يُخاطب الجمهور العربي بلغته ومن داخله، وإبراز تأثير مسارات التطبيع السياسي الإقليمي في بنية الخطاب الإعلامي العربي ومضامينه، والإسهام في رفد الأدبيات البحثية المتعلقة بالإعلام والصراع العربي-الصهيوني، ولا سيما في ما يتصل بدور الإعلام في إعادة تشكيل الوعي والمواقف السياسية.

أهداف الدراسة

- (١) تحليل بنية الخطاب الإعلامي لقناة الحدث خلال تغطيتها لمعركة طوفان الأقصى والعدوان على غزة.
- (٢) الكشف عن أنماط الانحياز اللغوي والسردى والبصري في توصيف المقاومة الفلسطينية.
- (٣) رصد مدى اقتراب خطاب القناة من الرواية الصهيونية في تفسير الأحداث وتحميل المسؤوليات.
- (٤) الإسهام في بناء معرفة نقدية حول دور الإعلام العربي في إعادة تشكيل الوعي تجاه القضية الفلسطينية.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة مقارنة تحليلية نقدية تقوم على تحليل مضمون التغطية الإعلامية لقناة الحدث عن طريق فحص البنى اللغوية والسردية والبصرية التي شكّلت خطابها الإخباري، وتستند الدراسة إلى الجمع بين الوصف التحليلي والتفكيك الخطابي، بما يسمح ويؤدي إلى فهم السياق الذي أُنتج فيه الخطاب، وتحليل الأطر المرجعية التي استند إليها، والكشف عن المعاني الضمنية التي ينطوي عليها.

كما تستعين الدراسة بتحليل مستويات التسمية ومصادر المعلومات ونبرة الخطاب والإطار التفسيري وآليات الانتقاء البصري؛ لتقديم قراءة شاملة لطبيعة التغطية الإعلامية، وربطها بالأجندة السياسية والتحولات التي طرأت على الخطاب الإعلامي العربي خلال هذه المرحلة.

تقسيم الدراسة

إضافة إلى المقدمة والخاتمة تتوزّع الدراسة على أربعة مباحث:

- ١) الإطار النظري والمفاهيمي.
- ٢) السياق التاريخي والسياسي للإعلام الخليجي تجاه القضية الفلسطينية.
- ٣) تحليل مضمون قناة الحدث.
- ٤) مقارنة خطاب قناة الحدث مع الخطاب الصهيوني.

المبحث الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي

أولاً: الإعلام وخطاب الهيمنة في سياق الصراع

تُبرز المقاربات النقدية للخطاب الإعلامي أنَّ وسائل الإعلام لم تعد ناقلاً محايداً للوقائع، بل تُمارس أدواراً مختلفة في إنتاج المعنى وتكريس أنماط الهيمنة الرمزية داخل المجال العام، بحسب السياسة التحريرية التي يضعها الممول، ويشكّل الإعلام ساحة مركزية لإعادة تعريف الفاعلين، وتحديد مواقع الضحية والجاني، وإعادة صياغة مفاهيم الشرعية والعنف والمقاومة، بما يتجاوز البعد الإخباري إلى بُعد أيديولوجي وثقافي عميق^(١).

ينطلق مفهوم خطاب الهيمنة من فرضية أنَّ السيطرة لا تُمارس بالقوة العسكرية وحدها، بل عن طريق إنتاج خطاب يُعيد تنظيم الأحداث وتأطيرها ضمن بُنى لغوية ودلالية تخضع لموازن القوة السياسية والتحالفات الإقليمية.

وفي المشهد الفلسطيني أسهم الخطاب الإعلامي المهيمن عربياً ودولياً، في إعادة إنتاج سردية تُساوي بين المحتل والواقع تحت الاحتلال، أو تنقل مركز الثقل من بنية الاحتلال إلى ردود الفعل الفلسطينية عليه، وضمن هذا الإطار يجري تفريغ مفهوم المقاومة من مضمونه، وإعادة توصيفه ضمن سياقٍ أمني أو أخلاقي يُجرّده من شرعيته القانونية والسياسية، ولا يحدث ذلك دائماً بخطاب مباشر بل غالباً عن طريق آليات لغوية ناعمة وانتقاء بصري موجّه، واختيار مصادر معلوماتٍ أحادية الاتجاه^(٢).

(١) بوقدور، مصطفى. (٢٠١٥). سلطة الخطاب في الفضاء المعلوماتي. مجلة تبين، العدد (١١).

(٢) المصدر نفسه.

إن فهم خطاب الهيمنة الإعلامية يتيح قراءة أعمق للتغطية الخبرية في الأحداث الكبرى، مثل عملية طوفان الأقصى والعدوان على غزة؛ إذ لم تكن المعركة عسكرية فقط، بل إعلامية ونفسية، ومن هنا جاءت أهمية دراسة المضمون الإعلامي؛ لكشف البنية غير المرئية للانحياز وتفكيك الدور الذي يؤديه الإعلام في إعادة إنتاج علاقات القوة داخل الصراع^(٣).

ثانيًا: التحيز الإعلامي: المفهوم وآليات الاشتغال

يُنظر إلى التحيز الإعلامي بوصفه أحد المفاهيم المركزية في دراسات الإعلام والصراع؛ إذ يُشير إلى الانحراف المنهجي في معالجة الأحداث والوقائع بما يخدم رؤية سياسية أو أيديولوجية محددة، سواء جرى ذلك بصورة مباشرة أم عن طريق آليات غير ظاهرة، ولا يقتصر التحيز على تبني موقفٍ عدائي صريح، بل يتجلى غالبًا في اختيار المفردات وترتيب الأولويات وانتقاء المصادر وتحديد الأطر التفسيرية، التي تُقدّم بواسطتها الأخبار للجمهور^(٤).

تنطلق نظرية التحيز الإعلامي من افتراض أن وسائل الإعلام تعمل ضمن بيئات سياسية واقتصادية وثقافية تؤثر في بُنياتها التحريرية وخياراتها المهنية؛ ليُصبح الخبر نتاجًا لعملية انتقاء وبناء، ويتجلى ذلك بوضوح في تغطية النزاعات غير المتكافئة؛ إذ تميل بعض الوسائل إلى اعتماد خطاب ينسجم مع موازين القوة السائدة، ويُعيد إنتاجها عن طريق اللغة والصورة والتفسير^(٥).

في معركة طوفان الأقصى، أخذ التحيز الإعلامي طابعًا مركّبًا، ولم يقتصر على الانحياز لطرفٍ على حساب آخر، بل عمِل على إعادة تعريف طبيعة الصراع وإعادة تأطيره ضمن سرديات أمنية أو إنسانية مجتزأة، تجاهلت وغيّبت الفاعل الحقيقي، وألقت اللوم على الضحية الواقع تحت الاحتلال.

(٣) تشومسكي، نعم؛ هيرمان إدوارد. (٢٠٠٠). صناعة الموافقة: الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام.

(٤) حسونة، نسرین. (٢٠١٥). نظريات الإعلام والاتصال.

(٥) تشومسكي. مصدر سابق.

وتعمل آليات التحيز الإعلامي كذلك عن طريق انتقاء المصادر؛ إذ يُمنح الطرف المهيمن مساحةً أوسع لتقديم روايته المضلّة وكأَنَّها حقيقة موضوعية، مُقابل تهميش أو تشكيك مسبق في الرواية المقابلة، كما يتعزز هذا التحيز عن طريق التكرار المستمر لمقولات بعينها، ما يؤدي إلى تطبيعها في الوعي الجمعي وتحويلها إلى مسلّمات يصعب مساءلتها. إنَّ تفكيك مفهوم التحيز الإعلامي وآليات اشتغاله يشكل المدخل الأنجع لتحليل الخطاب الإعلامي السعودي، ويكشف كيف يُعاد إنتاج الانحياز ضد المقاومة الفلسطينية داخل مؤسسات إعلامية تسترّ خلف خطاب المهنية والحياد^(٦).

ثالثًا: الإعلام أداة لتشكيل الرأي العام وصناعة الاتجاهات

أصبح دور الإعلام في المجتمعات الحديثة أحد أبرز الفاعلين في عملية تشكيل الرأي العام وصناعة الاتجاهات السياسية والثقافية؛ إذ تُسهّم وسائل الإعلام — عن طريق ما تختاره من موضوعات وكيفية عرضها والزوايا التي تُبرزها أو تُهمّشها — في بناء تصوّرات الجمهور تجاه القضايا العامة وفي توجيه اهتمامه نحو قضايا بعينها دون غيرها^(٧).

وتؤكد نظريات الاتصال — لا سيما نظريتنا ترتيب الأولويات وصناعة الأطر — أنَّ الإعلام يمتلك قدرة عالية على تحديد ما يفكر فيه الجمهور، وكذلك الكيفية التي يفكر بها حيال القضايا المطروحة، وفي سياقات الصراع يتحوّل الإعلام إلى أداة فاعلة في إعادة إنتاج علاقات القوة.

وقد أدى الإعلام دورًا مركزيًا في إعادة تشكيل صورة الصراع داخل الوعي العربي والدولي، وتتضاعف خطورة هذا الدور عندما تتبنّى وسائل الإعلام إعادة إنتاج السرديات المعادية، سواء عن طريق استضافة مصادرٍ منحازة، أو عن طريق تبني مفردات ومصطلحات

(٦) حسونة. مصدر سابق.

(٧) المصدر نفسه.

تطبع رؤية معينة للأحداث، بما يتجاوز توجيه الرأي العام إلى المشاركة في إعادة صياغة البنية الإدراكية التي ينظر بواسطتها الجمهور إلى المقاومة والاحتلال^(٨).

وعليه، فإنَّ دراسة الإعلام ضمن دوره في تشكيل الرأي العام تكتسب أهمية خاصة في تحليل تغطية معركة طوفان الأقصى؛ إذ تكشف كيف يمكن لخطاب إعلامي موجّه أن يُعيد ترتيب الوعي الجمعي، وأن يُسهّم في تطبيع مواقف تتناقض مع الحقائق التاريخية والقانونية للصراع.

وتكتسب هذه المقاربات النظرية أهمية خاصة عند مقارنتها بواقع الإعلام العربي المعاصر، ولا سيما بعض المنصات الخليجية التي اضطلعت بدورٍ فاعلٍ في إعادة إنتاج الخطاب وفق أُطرٍ جديدة، وتُعدُّ قناة الحدث أنموذجًا دالًّا على كيفية توظيف آليات التحيز الإعلامي وخطاب الهيمنة في تغطيتها للحدث الفلسطيني.

رابعًا: الصهيونية العربية: الجذور النظرية وتجلياتها الإعلامية

يُستخدم مفهوم "الصهيونية العربية" في هذا البحث ضمن مقارنة تحليلية نقدية؛ تهدف إلى تفكيك نمطٍ معيّنٍ من الخطاب السياسي والإعلامي العربي، الذي يتماهى في مضمونه ووظيفته، مع السردية الصهيونية في مقارنة الصراع الفلسطيني-الصهيوني سواءً على مستوى توصيف الأحداث أو تأطير الوقائع أو إعادة تعريف أطراف الصراع، ويقوم هذا المفهوم على قراءة الدور الذي يؤدّيه الخطاب لا على خلفياتٍ من يُنتجه أو يروّج له^(٩).

يجد هذا التصور جذوره النظرية في أعمال المفكر الراحل عبد الوهاب المسيري، ولا سيما في تحليله لفكرة "اليهودي الوظيفي"؛ إذ تُفهم الظواهر عن طريق موقعها داخل بُنية الهيمنة، ووظيفتها في خدمة مشروع القوة المهيمنة أو إعادة إنتاجه، وليس عن طريق انتمائها

(٨) تشومسكي. مصدر سابق.

(٩) المسيري، عبد الوهاب. (١٩٩٩). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المجلد الأول. القاهرة: دار الشروق.

الظاهر، وبالقياس على ذلك، يمكن فهم "الصهيونية العربية" خطاباً يؤدي وظيفة سياسية محددة في لحظة تاريخية معينة، بصرف النظر عن هويته ولغته أو ادعاءاته الأيديولوجية^(١٠).

وتتجلى الصهيونية العربية إعلامياً عبر آليات غير مباشرة، لا تعتمد المسار الدعائي الصريح، بل تعمل على تفكيك المعنى من الداخل وإعادة توجيهه، وقد برز هذا الخطاب بوضوح في سياق التحولات الإقليمية التي شهدتها المنطقة خلال السنوات الأخيرة؛ إذ اضطلع الإعلام بدور محوري في إعادة تكييف الوعي الجمعي العربي مع هذه التحولات، عن طريق إنتاج سردية جديدة تحوّل الصراع مع العدو الإسرائيلي إلى ملفٍ إشكالي ينبغي احتواؤه أو تحييده، وبدل مُساءلة الاحتلال بوصفه أصل العنف وعدم الاستقرار، جرى توجيه النقاش نحو الجدوى من المقاومة وكلفة ما تقوم به والآثار المترتبة على الفعل المقاوم، بما أسهم في نقل مركز الثقل من فعل الاحتلال إلى ردّ الفعل الفلسطيني^(١١).

وقد أتاح هذا التحوّل للإعلام تأدية دورٍ صهيوني عربي ينسجم مع مقاربات سياسية تسعى إلى تطبيع العلاقة مع العدو، أو على الأقل تحييد الصراع معها داخل الوعي العربي. وسيُختبر هذا الإطار المفاهيمي تطبيقياً في تحليل مضمون القناة في المباحث اللاحقة من الدراسة.

(١٠) المسيري. مصدر سابق.

(١١) المصدر نفسه.

المبحث الثاني:

السياق التاريخي والسياسي للإعلام الخليجي

تجاه القضية الفلسطينية

أولاً: التحولات في السياسة السعودية: من مركزية فلسطين إلى إعادة توجيه العداء

شهدت السياسة السعودية تجاه القضية الفلسطينية تحولات متدرّجة منذ مطلع الألفية الجديدة، وتبلورت بصورة أوضح خلال العقد الأخير، مع انتقالها من خطابٍ عربي يؤكد مركزية فلسطين، إلى مقاربةٍ سياسية وأمنية أعادت ترتيب الأولويات الإقليمية، ارتبط هذا التحول بجملةٍ من المتغيرات، في مقدمتها تصاعد الدور الأمريكي في توجيه سياسات المنطقة، وتنامي الضغوط الرامية إلى إدماج الكيان الصهيوني في الإقليم بوصفه شريكاً أمنياً وليس عدواً وجودياً^(١٢).

ومثلت "مبادرة السلام العربية" لعام ٢٠٠٢ بداية الانزياح عن منطق الصراع المفتوح نحو شعارات التسوية السياسية، فعلى الرغم من تقديم المبادرة تحت عنوان "الموقف العربي الموحد" إلا أنّها أسست لإطارٍ يقوم على الاعتراف الجماعي بالكيان الصهيوني مقابل وعودٍ سياسية مؤجلة، متجاهلةً جوهر الصراع القائم على الاحتلال والاقْتلاع، ولا سيما حق العودة وتحرير الأرض، وجرى التعامل مع القضية الفلسطينية بوصفها ملفاً تفاوضياً قابلاً للإدارة^(١٣).

(١٢) عنان، عماد. الإعلام العربي وحرب غزة: مقاربات توثق الخذلان. نون بوست. ١٩ نوفمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط:

<https://www.noonpost.com/181473>

(١٣) من وعد بلفور إلى إعلان إسرائيل... الانتداب البريطاني في فلسطين. الجزيرة نت. ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

<https://aja.me/p2fk85>

في المراحل اللاحقة، انعكس هذا التحول على الموقف السياسي الرسمي؛ إذ تراجعت مركزية القضية الفلسطينية، وبرزت مقاربات جديدة أعادت تعريف مصادر التهديد في المنطقة، ولم يعد الاحتلال الصهيوني يحتل موقع العدو الرئيس في الخطاب العام، بالتزامن مع بدء الحديث عمّا سُمّي بـ"صفقة القرن" عام ٢٠١٩، وفي هذا السياق، جرى توجيه النقد والعداء السعودي نحو المقاومة الفلسطينية بصورة علنية؛ إذ أقدمت الأجهزة الأمنية السعودية على اعتقال الطبيب الفلسطيني "محمد صالح الخضري"، البالغ من العمر ٨١ عاماً، إلى جانب فلسطينيين آخرين مقيمين في المملكة، بتهمة الانتماء إلى حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وذلك بعد ما يقارب عقدين من تمثيل "الخضري" للحركة أمام السلطات السعودية^(١٤).

كما لجأ وزير الخارجية السعودي الأسبق عادل الجبير، في سياقاتٍ سياسية وإعلامية متعددة، إلى توصيف حركة المقاومة الإسلامية "حماس" باستخدام مصطلحاتٍ من قبيل "التطرف" و"الإرهاب"، وهو توصيفٌ يعكس تبنياً لإطار تصنيفي يتقاطع بوضوح مع التوجّه الغربي-الإسرائيلي في مقارنة المقاومة الفلسطينية^(١٥).

وقد واكب الإعلام الخليجي - ولا سيما السعودي - هذه التحولات عن طريق خطابٍ اتسم بانحيازٍ واضح، عمل على تشويه صورة المقاومة، في مقابل الترويج لخطاب "السلام" و"الاعتدال"، وعليه فإنّ هذا الانحياز الإعلامي يتكامل مع المسار السياسي العام، ويعبّر عن تحوّل في الرؤية والقرار^(١٦).

(١٤) صالح، محسن. معتقلو حماس في السجون السعودية... إلى متى؟! مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. ١٧ أبريل ٢٠٢١.

متاح على الرابط: <https://2u.pw/JFxQyd>

(١٥) الجبير يصف حماس بالمتطرفة ويدافع عن الإدارة الأميركية. الجزيرة نت. ٢٦ فبراير ٢٠١٨. متاح على الرابط:

<https://aja.me/lp3lr>

(١٦) السويدي، وضحة. سمات التغطية الإعلامية للحرب على غزة ودورها من المنظور الإخباري لـ"الجزيرة نت" و"بي بي سي عربي" (أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣ - يناير/كانون الثاني ٢٠٢٥). ٢٥ أغسطس ٢٠٢٥. مركز الجزيرة للدراسات. متاح على الرابط:

<https://studies.aljazeera.net/ar/article/6301>

ثانيًا: إعادة تشكيل الصراع الإقليمي: من صراع عربي-صهيوني إلى صراع محاور

منذ منتصف العقد الماضي، شهدت المنطقة العربية تحولاً عميقاً في طبيعة الصراع الإقليمي؛ إذ بدأت الخطابات الرسمية والخليجية تتجه نحو رسم عدوٍ جديدٍ يُقدّم بديلاً للعدو الوجودي للعرب والمسلمين "الكيان الصهيوني"، وقد جاء هذا التحول في سياق صعود محور المقاومة، الذي أثبت فاعليته في مواجهة الهيمنة الغربية-الصهيونية، عن طريق صمود إيران في وجه الحرب الهجينة والخنق الاقتصادي، وتعزيز حضور قوى المقاومة في العراق واليمن ولبنان، وإفشال محاولات إسقاط الدولة السورية، وهو ما أعاد صياغة موازين القوى في الإقليم لصالح قوى التحرر والممانعة^(١٧).

في هذا السياق، أُعيد تعريف العدو في الخطاب السياسي والإعلامي الخليجي، الذي بات يعتمد أطراً تفسيرية تُحمّل قوى المقاومة مسؤولية التصعيد وعدم الاستقرار، مقابل تغييب الدور البنوي للاحتلال في إنتاج العنف، وتلميع خيار التطبيع والانخراط في المشاريع الأمريكية-الإسرائيلية على أنه الخيار "العقلاني" لضمان الأمن الإقليمي^(١٨).

بهذا التحول، أصبح الإعلام الخليجي أداة محورية لإعادة توزيع الشرعية، وتقديم حركات المقاومة بصورة تعدّها مصدرًا للتوتر، بينما يُلقى الضوء على الروايات الإسرائيلية، وتُمنح مركزيةً في التحليل والتفسير، ومع توقيع "اتفاقيات التطبيع الخليجية"، أصبح حضور المتحدثين الإسرائيليين في الإعلام السعودي أمرًا مألوفًا، ومن هنا، يُمكن فهم التوجه الذي تحرّكت ضمنه قناة الحدث في تغطيتها، وتفسير طبيعة الأطر التي اعتمدتها في معالجة الحدث الفلسطيني وتداعياته^(١٩).

(١٧) عنبار، افرايم. المعادلة الاستراتيجية الجديدة في الشرق الأوسط. مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية. ١ نوفمبر ٢٠١٤. متاح على الرابط: <https://www.bahethcenter.net/essaydetails.php?eid=31999&cid=24>

(١٨) سينغ، مايكل. محور "اتفاقيات إبراهيم": التطبيع العربي الإسرائيلي قد يعيد تشكيل الشرق الأوسط. معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى. مارس-أبريل ٢٠٢٢. متاح على الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/pdf/view/17294/ar>

(١٩) قناة العربية: أداة أساسية في البروباغندا الإسرائيلية. موقع الخنادق. ٧ مايو ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://2u.pw/f8BNK7>

ثالثاً: الإعلام الخليجي الموجّه: طوفان الأقصى بوصفه حدثاً كاشفاً

يشكّل الإعلام الخليجي الموجّه أحد أهم الأدوات الرئيسة في التعبير عن التحولات السياسية والاستراتيجية التي شهدتها المنطقة خلال السنوات الأخيرة؛ إذ انتقل هذا الإعلام من موقع الناقل للمواقف الرسمية، إلى موقع الفاعل المؤثر في إعادة إنتاجها وتبريرها وصياغتها ضمن خطاب يرفع شعارات المهنية والحياد، ومنذ بدء معركة طوفان الأقصى اتضحت طبيعة الأطر التي يعمل ضمنها الإعلام الخليجي، وحدود التزامه بالقضايا القومية والمصرية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية^(٢٠).

أبرزت التغطية الإعلامية الخليجية للمعركة والعدوان على غزة ميلاً واضحاً نحو اعتماد المقاربات الأمنية والسياسية المتماهية مع الرؤية الإسرائيلية، عن طريق التركيز على تداعيات الحدث، واحتمالات التصعيد وتوسع الصراع إلى حرب إقليمية، ومخاوف "عدم الاستقرار"، مقابل تهميش السياق البنيوي للاحتلال والحصار الممتد على قطاع غزة، وقد أسهمت هذه التغطية في نقل مركز الاهتمام من جوهر الصراع إلى نتائجه، ومن مسؤولية الاحتلال إلى أفعال المقاومة، بما يخدم إعادة إنتاج خطاب يُجرّد الفلسطينيين من حقوقهم في الدفاع عن أنفسهم وأرضهم^(٢١).

وتجلى توجيه التغطية الإعلامية كذلك في طبيعة الضيوف والمحللين الذين جرى استضافتهم؛ إذ غلبت الأصوات المتماهية مع الرؤية الرسمية أو المنحازة للرواية الإسرائيلية، مقابل تغييب شبه كامل للأصوات الفلسطينية أو الداعمة للمقاومة، إضافةً إلى الاعتماد المتزايد على مصادر إسرائيلية في نقل المعلومات والتحليلات، ما منح الرواية الصهيونية موقعاً مركزياً في تفسير الحدث، وكرّسها مرجعيةً معرفيةً للجمهور العربي^(٢٢).

(٢٠) الإعلام السعودي و"طوفان الأقصى" .. "صهيونية" ما بعد الصهيونية. مركز إنسان للدراسات الإعلامية. ٩ يناير ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://2u.pw/X5cGbC>

(٢١) عنان. مصدر سابق.

(٢٢) الرشيد، أسامة. أصداء الرواية الإسرائيلية في حسابات شخصيات عربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي: "إكس" نموذجاً. مركز الجزيرة للدراسات. ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <http://studies.aljazeera.net/ar/article/6082>

وقد شكَّلت قناة الحدث نموذجًا للإعلام الموجَّه؛ إذ عكست تغطيتها التقاءً واضحًا بين الخطاب الإعلامي والسياسات الإقليمية الجديدة، سواء من حيث اللغة المستخدمة، أم الأطر التفسيرية المعتمدة، أو الانتقال البصري؛ لتصبح جزءًا من المنظومة الخطابية المتبنّية لإعادة تعريف الصراع الفلسطيني-الصهيوني بما ينسجم مع تحولات المشهد الإقليمي.

المبحث الثالث:

تحليل مضمون الرسالة الإعلامية لقناة الحدث

تجاه "طوفان الأقصى"

في ضوء الإطار النظري والسياق السياسي الذي جرى تفصيله في المبحثين السابقين، ينتقل هذا المبحث إلى تحليل مضمون التغطية الإعلامية لقناة الحدث خلال معركة طوفان الأقصى والعدوان على قطاع غزة، وذلك عن طريق تفكيك أنماط التسمية، ونبرة الخطاب، ومصادر المعلومات، والأطر التفسيرية، وآليات الانتقاء البصري.

أولاً: موقف قناة الحدث من المقاومة الفلسطينية

تُظهر تغطية قناة الحدث للمقاومة الفلسطينية مساراً واحداً من المعالجة الإعلامية يقوم على تقليص شرعيتها وتجريدها من صفة الفعل التحرري، وإعادة توصيفها ضمن أُطرٍ لغوية وسياسية تُخرجها من سياقها الوطني والقانوني، عن طريق آلياتٍ ناعمةٍ تعمل على إعادة تعريفها في وعي الجمهور.

أحد أبرز ملامح هذا التوجُّه يتمثل في تغييب صفة الاحتلال خلال وصف الأحداث؛ إذ نادراً ما تُقدّم المقاومة في ارتباطها البنوي بواقع الاحتلال والحصار والاستيطان، واتجهت القناة إلى التعامل مع فعل المقاومة بعيداً عن الأسباب التاريخية والسياسية، ما يؤدي إلى تحميلها مسؤولية التداعيات الإنسانية التي يتعرّض لها المدنيون في قطاع غزة، وتؤدي هذه المعالجة إلى قلب العلاقة بين الفاعل والنتيجة، بحيث تُقدّم المقاومة سبباً للعنف، وليس ردّاً عليه.

كما تعتمد القناة على توصيفاتٍ لغويةٍ محددة، تُستخدم بصورة متكررة في الإشارة إلى المقاومة، مثل "مقاتلي حماس" أو "عناصر مسلحة"، دون الإشارة إلى صفتها المقاومة أو إلى أطرها التنظيمية والعسكرية المعترف بها، ويعمل هذا الاستخدام الانتقائي للمصطلحات

على نزع شرعية المقاومة، وحصرها في إطارٍ أمني ضيق، يتقاطع مع السياسة الإسرائيلية الهادفة إلى تجريد المقاومة من أي بُعدٍ قانوني أو أخلاقي.

ويتكامل هذا التوصيف اللغوي مع انتقاءٍ بصريٍّ موجّه؛ إذ تغيب إلى حد كبير المواد المصوّرة التي تنتجها فصائل المقاومة، مقابل حضورٍ كثيفٍ للمشاهد الصادرة عن "الجيش الإسرائيلي"، سواءً فيما يتعلّق بالعمليات العسكرية أو بعرض ما يُقدّمه الاحتلال وتسويقه على هيئة إنجازاتٍ ميدانية، ويُسهّم هذا الاختلال في مَصادر الصورة في تكريس فكرة التفوق الإسرائيلي، على حساب صورة المقاومة وقدرتها على الفعل.

هذا النمط من التغطية يشكّل مدخلاً أساسياً لفهم طبيعة معالجة القناة لبقية محاور الدراسة، ولا سيما مضمون تغطيتها لطوفان الأقصى، وصورة حركتي حماس والجهاد الإسلامي، والأحداث الرمزية الكبرى المرتبطة بالمقاومة.

ثانياً: تغطية معركة طوفان الأقصى (٧ أكتوبر ٢٠٢٣ - ١٠ أكتوبر ٢٠٢٥)

تعكس تغطية قناة الحدث خطأً تحريريّاً يقوم على تبني إطارٍ تفسيري يلتقي بدرجة كبيرة مع السردية الإسرائيلية للأحداث، فمنذ الساعات الأولى ليوم السابع من أكتوبر، ركّزت القناة في خطابها الإعلامي على وصف ما جرى بمسمّيات "الهجوم المفاجئ" أو "التصعيد الخطير"، مع تجاهل الخلفيات التي جرى التأكيد عليها في مضمون البيان الذي أُذيع في بدايات المعركة بصوت القائد "محمد الضيف"، الذي قدّم تفسيراً لأسباب الانفجار الميداني نتيجةً طبيعيةً وتراكميةً لسياسات الاحتلال^(٢٣).

وقد غاب عن التغطية أيُّ عرضٍ منهجي لما تعرّض له الشعب الفلسطيني من جرائم متواصلة، شملت القتل الممنهج للأطفال والنساء وكبار السن، والتدمير الواسع للمنازل فوق

(٢٣) القائد العام للقسام محمد الضيف يعلن بدء معركة طوفان الأقصى. المركز الفلسطيني للإعلام. ٧ أكتوبر ٢٠٢٣. متاح على

الرابط: <https://2u.pw/b9OSGG>

ساكنيها، في ظل صمتٍ دولي مطبق، كما جرى تهميش الاعتداءات المتكررة على القدس والمسجد الأقصى، بما في ذلك اقتحامات قوات الاحتلال لباحاته، وتدنيس حرمة المكان، والاعتداء على المرابطين والمرابطات، ومنع الفلسطينيين من الوصول إليه، مقابل إتاحة المجال للجماعات اليهودية لتنفيذ اقتحاماتٍ يوميةٍ وأداء طقوسٍ تلمودية علنيةٍ داخله^(٢٤).

كذلك تجاهلت التغطية الدلالات الخطيرة لتصاعد الخطاب الصهيوني الداعي إلى تغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى، وما رافقه من ممارساتٍ رمزيةٍ وميدانيةٍ تُعبّر عن نوايا تهويد المكان واستهدافه المباشر، واعتمدت القناة بشكلٍ لافتٍ على الروايات الإسرائيلية في توصيف مجريات المعركة، ولا سيما في ما يتعلّق بالمزاعم حول "الفضائع" أو "الانتهاكات" المنسوبة للمقاومة، دون إخضاع هذه الروايات للتدقيق المهني أو عرض رواياتٍ مقابلة، وفي المقابل غاب في كثير من الأحيان نقل الرواية الفلسطينية، سواء الصادرة عن فصائل المقاومة أم عن مصادر حقوقية مستقلة.

ويلاحظ كذلك أن القناة ركّزت على الأبعاد العسكرية والأمنية للمعركة من زاويةٍ إسرائيلية، مثل تقييم القدرات العسكرية للمقاومة، أو الحديث عن "استعادة الردع" و"تحقيق الإنجازات"، مقابل تهميش متعمّدٍ للأبعاد الإنسانية الناتجة عن العدوان، أو تقديمها في إطارٍ وصفي مجتزأ يخلو من تحديد المسؤولية المباشرة للاحتلال.

وخلال المراحل اللاحقة من العدوان، واصلت قناة الحدث اعتماداً أطرٍ تفسيريةٍ تُبرز "استنزاف المقاومة" و"تآكل قدراتها"، في مقابل إبراز صورة جيش العدو في موقعٍ مَن يمتلك زمام المبادرة والسيطرة، وقد ترافق ذلك مع استخدام لغةٍ تُوحى بالتفوّق والحسم، بما يُسهم في تثبيت صورةٍ ذهنيةٍ منحازة تُفرغ طوفان الأقصى من أسبابه وأهدافه الحقيقية.

(٢٤) القائد العام للقسام محمد الضيف يعلن بدء معركة طوفان الأقصى. مصدر سابق.

ثالثاً: صورة حركتي حماس والجهاد الإسلامي في خطاب القناة

لم تُخفِ قناة الحدث في تغطيتها لأخبار حركتي حماس والجهاد الإسلامي توجهها السياسي القائم على نزع الشرعية عنهما، عن طريق حصرهما في توصيفات تُخرجهما من سياقهما الوطني بوصفهما فاعلين مقاومين في مواجهة الاحتلال، بشكلٍ متكررٍ وبصورةٍ منهجيةٍ في مختلف التغطيات، بما في ذلك النشرات الإخبارية، والتقارير الميدانية، والمقابلات، والتحليلات السياسية.

يتجلى هذا التوجُّه بوضوحٍ في الاستخدام المتكرر لمصطلحات من قبيل "مقاتلي حماس" أو "عناصر الجهاد"، دون الإشارة إلى الصفة المقاومة أو الإطار التحرري الذي تنتمي إليه هذه الفصائل، ويؤدي هذا الاستخدام الانتقائي للمصطلحات إلى اختزال الحركتين في بُعدٍ عسكري معزول، وتجريدهما من أيِّ امتدادٍ سياسي أو تمثيلي داخل المجتمع الفلسطيني، بما ينسجم مع المقاربة الإسرائيلية التي تسعى إلى تصوير المقاومة قوى عنفٍ منفصلة لا تملك مشروعيةً وطنية. واعتمدت القناة كل الروايات الإسرائيلية التي تتحدث عن "تفكُّك البنية القيادية" أو "تآكل القدرات القتالية" للمقاومة، مقابل التجاهل التام لكل ما قدَّمته وأنتجته "كتائب القسام" و"سرايا القدس" من موادٍ إعلاميةٍ مصوِّرةٍ للعمليات التي كَبَّدت جيش الاحتلال خسائرَ فادحة، كما أسهمت القناة في الترويج للسرديات الغربية والصهيونية التي تتهم فصائل المقاومة باستخدام المدنيين "دروعاً بشرية"، وهي واحدة من أكثر المزاعم الإسرائيلية حضوراً في التناول الإعلامي، وغالباً ما تُعرض هذه الادعاءات دون مساءلة أو تفكيك، وتُقدَّم كأهمَّ حقائق ثابتة، بما يُضفي عليها شرعيةً إعلامية، ويُسهِم في شيطنة المقاومة أخلاقياً أمام الرأي العام العربي.

إلى جانب ذلك، يُلاحظ أنَّ القناة تتعامل مع حركتي حماس والجهاد الإسلامي على أنهما جزءاً من شبكةٍ إقليميةٍ تُربط غالباً بإيران في محاولةٍ لإضعاف التعاطف الشعبي معها وإعادة توجيه النقاش نحو اعتباراتٍ إقليمية، بما يتوافق مع السردية الصهيونية.

رابعاً: تغطية استشهاد القائد يحيى السنوار في خطاب قناة الحدث

مثّل استشهاد القائد يحيى السنوار محطةً مركزيةً في سياق معركة طوفان الأقصى؛ لما يحمله من أبعادٍ سياسيةٍ ومعنويةٍ تتجاوز شخصه إلى موقعه ورمزيّته في صفوف المقاومة الفلسطينية، غير أنّ تغطية قناة الحدث عكست مقاربةً إعلاميةً سعت إلى تفرّغه من رمزيّته الجهادية، وإعادة تأطيره بما يتماهى مع الرواية الإسرائيلية التي قدّمت الاغتيال في إطار ما تعدّه تفوقاً استخباراتياً وإنجازاً أمنياً^(٢٥).

يتجلّى هذا التوجّه في اللغة المستخدمة لتوصيف الحدث؛ إذ جرى التركيز على تفاصيل العملية من زاوية إسرائيلية، تُبرز دور الأجهزة الأمنية والعسكرية للاحتلال، دُونَ الإشارة إلى أن السنوار كان قائداً ميدانياً يعمل على الأرض ويتحرك في جبهاتٍ ومحاور الاشتباك، في سياق حربٍ مفتوحةٍ وغير متكافئةٍ مع العدو.

كما غاب في تغطية القناة أيُّ تناولٍ جدّيٍّ للأثر الرمزي والمعنوي لاستشهاد السنوار داخل المجتمع الفلسطيني، سواءً على مستوى التعبئة الشعبية أم على مستوى إعادة إنتاج رمزية الشهادة في الوعي الجمعي، ونيابةً عن ذلك، طُعنت تحليلاتٌ تُقلّل من أهمية الحدث بالنسبة للمقاومة، وترى أنّه مؤشرٌ على "انهيار القيادة" أو "تآكل القدرة التنظيمية"، في محاولة لإظهار المقاومة بحالةٍ من التفكُّك والعجز.

وتتّكامل هذه المحاولة مع انتقاءٍ بصريٍّ موجّه، اعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على المواد المصوّرة والمعلومات الصادرة عن جيش الاحتلال أو الإعلام العبري، في ظل غيابٍ شبه كاملٍ للرواية الفلسطينية أو للمواد التي تُعبّر عن مكانة السنوار في الوعي الشعبي الفلسطيني والعربي والإسلامي، ويُسهّم هذا الاختلال في تكريس قراءةٍ أحاديةٍ للحدث، تعمل على نزع البطولة والرمزية عن قيادات المقاومة، وتحويل استهدافهم إلى قصصٍ نجاحٍ أمنيٍّ للاحتلال.

(٢٥) استنكار واسع لطريقة تناول الإعلام السعودي استشهاد السنوار. عربي ٢١. ١٨ أكتوبر ٢٠٢٤. متاح على الرابط:

خامساً: تغطية المجازر والحصار في غزة

عكست مواكبة قناة الحدث للمجازر المرتكبة في قطاع غزة، ولسياسات الحصار الشامل المفروضة على السكان، توجهًا يُفرغ الحدث من فاعله السياسي والعسكري، ويُحوّله إلى مشهدٍ إنسانيٍ مجرّدٍ من أسبابه البنيوية، عن طريق استخدام صيغٍ لغويةٍ تُخفي المسؤولية، مثل الحديث عن "اشتباكات" أو "تداعيات القتال"، بما يُسهّم في تمييع طبيعة الجريمة وإزاحة مركز الاتهام.

يُظهر هذا التوجّه بوضوح في تغطية المجازر؛ إذ تُعرّض مشاهد الدمار والضحايا غالبًا في إطارٍ إنسانيٍ منفصل عن سياقه السياسي، دُونَ ربطه بسياسات الاستهداف الممنهج التي ينتهجها الاحتلال، ويتركّب في إطارها مجازرٌ إبادةٍ جماعيةٍ وجرائمٌ حرب وفق القانون الدولي، وبهذا يتحوّل الدمار إلى نتيجةٍ "حتمية" للصراع، لا إلى فعلٍ إجرامي ناتجٍ عن قرارٍ عسكري وسياسي صهيوني واضح، ويعمل هذا الأسلوب على نزع الطابع الجنائي عن المجازر، وتحويلها إلى صورٍ صادمةٍ بلا مسؤول.

وفيما يتعلّق بالحصار، اعتمدت القناة مقاربةً مشابِهةً تقوم على تغييب الفاعل؛ إذ يُشار إلى المجاعة وانهايار البنى الخدمية في إطار ما تُسميه بالأزمة الإنسانية أو التدهور الخطير في الأوضاع بشكلٍ مجهول، يتهرب من الإشارة إلى السياسات العدوانية التي أوصلت الوضع إلى هذا المستوى، وفي مقدّماتها الحصار الإسرائيلي ومنع إدخال الغذاء والدواء والوقود إلى قطاع غزة، ويُفضي هذا الخطاب إلى إعادة إنتاج سرديةٍ تُحمّل الواقع الفلسطيني ذاته مسؤولية الانهيار، بدّل تحميلها للسياسات العقابية التي ينفذها الاحتلال^(٢٦).

كما يُلاحظ أنّ القناة كثيرًا ما تربط عرض المجازر والحصار بسردياتٍ أمنية، عن طريق الإيحاء بأنّ ما يجري هو نتيجة لأفعال المقاومة أو لوجودها في مناطق مدنية، ويُسهّم

(٢٦) تفكيك الخطاب العدائي. الرابطة الدولية للخبراء والمحللين السياسيين. بيروت. ١٦ نوفمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

هذا الربط في شرعنة العنف الإسرائيلي ضمنيًا، وإقناع الجمهور المتلقي أن ما يحدث لم يكن سوى ردٍ طبيعي على التهديدات الناتجة عن فعل المقاومة، ولا يندرج ضمن جرائم استهداف المدنيين.

وعندما يغيب التناول القانوني أو الحقوقي الذي يضع جرائم العدو في إطارها بوصفها انتهاكات جسيمة للقانون الدولي الإنساني، تُقَوِّض إمكانية المساءلة والمحاسبة، ويُعاد تشكيل الوعي العام تجاه المجازر والحصار، عن طريق تطبيع العنف الإسرائيلي وتحويله إلى خلفية دائمة للأحداث.

سادسًا: الانتقاء البصري ودوره في تشكيل الوعي في تغطية قناة الحدث

يُعدّ الانتقاء البصري أحد أكثر أدوات "حرب الأدمغة" المؤثرة في الوعي الجمعي؛ نظرًا لما تحمله الصورة من قدرة على ترسيخ المعاني وإنتاج الانطباعات بعيدًا عن التحليل العقلاني للنصوص، وتكشف عينة الدراسة عن اعتماد قناة الحدث على المواد المصوّرة الصادرة عن جيش العدو، سواءً فيما يتعلّق بالعمليات العسكرية، أم بعرض ما يجري تنميته بمصطلح الإنجازات الميدانية، مثل اقتحام جيش العدو لبعض "الأنفاق" التي سبق إخلاؤها، أو التوغل الميداني في مواقع كانت تستخدمها المقاومة "كمائن ومصائد للعدو"، وتُعرّض هذه المشاهد غالبًا مُجتزأةً بصيغة احترازية عالية، مصحوبةً بالتعليق الذي يُعَمِّمه العدو، لتكريس صورة القوة والسيطرة في وعي المتلقي.

على الرغم من إمكانية الوصول إلى الكثير من المواد المصوّرة التي وزعتها فصائل المقاومة الفلسطينية، من توثيقٍ للعمليات العسكرية والاشتباك من نقطة الصفر، وتدمير آليات جيش العدو وسط قطاع غزة، إلا أنّ القناة تَعَمَّدت إقصاء صورة المقاومة، وامتنعت عن بثّ كل ما يُمكن أن يظهر بواسطته الفلسطيني المقاوم في موقع الفاعل القادر على المبادرة، وحَصَّرت حضوره البصري في سياقات الخسارة أو الدمار أو المعاناة الإنسانية.

كما يلاحظ أنَّ مشاهد الضحايا والدمار في غزة تُقدَّم على نحوٍ متكرر بصيغةٍ إنسانيةٍ مجرَّدة، منفصلة عن فاعلها، ومنزوعة من سياقها السياسي والعسكري، فالصورة هنا لم تُستخدم لإدانة الجريمة ومرتكبها، بل لإنتاج حالةٍ تعاطفٍ إنساني عابرٍ مجرد من المسؤولية، لا يترافق مع وعي نقدي بطبيعة العدوان وأسبابه، ويُسهّم هذا الاستخدام في تفريغ الصورة من طاقتها السياسية، وتحويلها إلى عنصرٍ تطبيعٍ مع العنف المستمر.

ويُقدَّم التكرار البصري دورًا إضافيًا في تثبيت صورة نمطية محدَّدة، تُرسِّخ بنيةً ذهنيَّةً غير متوازنة، تُعاد فيها صياغة معادلة القوة لصالح الاحتلال.

واستكمالًا للتحليل الكيفي لآليات الانتقاء البصري في تغطية قناة الحدث، يُوضَّح الجدول الآتي نتائج التحليل الكمي للمشاهد والمواد المصدَّرة المستخدمة في عيّنة الدراسة، وتُظهر هذه النتائج حجم الاختلال البنيوي في التمثيل البصري، بما يدعم الاستنتاجات المتعلقة بانحياز التغطية لخدمة الرواية الإسرائيلية.

جدول (١): الانتقاء البصري

نوع الصورة	نسبة الاستخدام
لقطات "الجيش الإسرائيلي"	٦٥٪
صور الدمار دُونَ فاعل	٢٠٪
صور مدنية (جرحى/ نازحين)	١٢٪
صور للمقاومة	٠٪
صور أرشيفية محايدة	٣٪

المبحث الرابع:

مقاربة خطاب قناة الحدث مع الخطاب الصهيوني

استناداً إلى نتائج تحليل المضمون الواردة في المبحث السابق، يتناول هذا المبحث مقاربة خطاب قناة الحدث في ضوء تقاطعه مع الخطاب الصهيوني.

أولاً: التطابق في المصطلحات والأطر التفسيرية بين خطاب قناة الحدث والخطاب الصهيوني

تكشف المقارنة المنهجية بين خطاب قناة الحدث والرواية الإعلامية الصهيونية عن درجة عالية من التطابق في المصطلحات والأطر التفسيرية المعتمدة في توصيف الصراع الفلسطيني-الصهيوني، ولا يقتصر هذا التطابق على تبني مفردات بعينها، بل يتجلى في البنية العميقة للخطاب، والطريقة التي يُعاد بواسطتها تعريف الفاعلين والأحداث والمسؤوليات. برز هذا التطابق بوضوح في تكرار استخدام القناة لمصطلحات، مثل "الجيش الإسرائيلي" وتكريسه توصيفاً قانونياً محايداً، بما ينسجم تماماً مع الخطاب الصهيوني الذي يسعى إلى شرعية الوجود العسكري أو تطبيعهِ في الوعي العام، كما يتجلى التطابق في الأطر التفسيرية التي تعتمدُها القناة في قراءة الأحداث؛ إذ يُعاد تأطير العدوان الإسرائيلي ضمن مفهوم "الدفاع عن النفس" أو "الرد على الهجمات"، وهو أحد أكثر المفاهيم حضوراً في الموقف الصهيوني الرسمي والإعلامي.

ويتعمَّق هذا التطابق عن طريق تبرير استخدام فائض القوة؛ لتحوّل مفاهيم مثل "الردع" و"الاستقرار" إلى أدوات خطابية تُستخدم لتبرير الإبادة والتدمير، وعدّها ضرورات لا بد منها، ضمن المنظومة التفسيرية للخطاب الصهيوني، ويُشكّل هذا الاندماج أحد أخطر أشكال الانحياز الإعلامي؛ لأنه يُعيد إنتاج الخطاب بلغة عربية موجّهة إلى جمهور عربي،

بما يُضاعف أثرها في الحرب الإدراكية وتشكيل الوعي العام.

في سياق المقارنة بين خطاب قناة الحدث والخطاب الصهيوني على مستوى المصطلحات والأطر التفسيرية، يُقدّم الجدول الآتي نتائج التحليل الكمي لأنماط التسمية المستخدمة في عينة الدراسة، ويَرصد الانحياز اللغوي بصورة رقمية دقيقة، أظهرت مدى التطابق مع الرواية الصهيونية في بناء المعنى وإعادة إنتاجه.

جدول (٢): جدول التسمية

الفئة الإعلامية	الجيش الإسرائيلي	قوات الاحتلال	المقاومة	عناصر حماس	كثائب القسام
النشرات	٪٩٥	٪٠	٪٠	٪٩٢	٪٠
التقارير الميدانية	٪٩٧	٪٠	٪٠	٪٨٨	٪٠
المقابلات	٪١٠٠	٪٠	٪٠	٪٩٤	٪٠
الإحاطات العسكرية	٪١٠٠	٪٠	٪٠	٪٩٠	٪٠
الأخبار العاجلة	٪٩٨	٪٠	٪٠	٪٩٥	٪٠

ثانيًا: تبرير العدوان والإبادة بوصفهما دفاعًا عن النفس

يُعدُّ تبني مفهوم "الدفاع عن النفس" أحد أبرز نقاط الالتقاء بين خطاب قناة الحدث والخطاب الصهيوني؛ إذ يُشكّل هذا المفهوم الإطار المركزي الذي جرى بواسطته تبرير العدوان واسع النطاق على قطاع غزة، بما في ذلك مجازر الإبادة الجماعية وسياسات التدمير الشامل والإصرار على التهجير، وتكشف السياسة التحريية للقناة عن استخدام منهجي لهذا المفهوم، أداةً خطابيةً تسعى لنزع الطابع الإجرامي عن أفعال الاحتلال، وتُعيد تقديمها في سياق الضرورة الأمنية.

يتجلى هذا التوظيف في الطريقة التي تُعرض بها العمليات العسكرية الإسرائيلية؛ إذ تُقدّم غالباً بأسلوبٍ تخفيفي يضعها في موقف الرد على أفعال المقاومة، ويؤدي هذا الإطار إلى فصل العدوان عن سياقه الحقيقي، وتحويله إلى فعلٍ اضطراري، تُمخى فيه العلاقة السببية بين الاحتلال والحصار من جهة، والانفجار المقاوم من جهةٍ أخرى.

ويُعزّز هذا التبرير عن طريق استضافة محللين وخبراء يتبنّون الرؤية الإسرائيلية، ويُعيدون إنتاج خطابها القانوني والسياسي، دُونَ مُساءلة أو تقديم أُطرٍ تفسيريةٍ بديلة، وفي المقابل يَغيب أيُّ نقاشٍ جدّي حول القانون الدولي الإنساني، أو حول عدم انطباق مفهوم "الدفاع عن النفس" على قوة احتلال تُمارس سيطرةً عسكريةً مباشرةً على شعبٍ واقعٍ تحت نيران الاحتلال وانتهاكاته.

استناداً إلى التحليل المقارن لخطاب تبرير العدوان والإبادة في تغطية قناة الحدث، يُوضّح الجدول الآتي نتائج التحليل الكمي للأُطر التفسيرية المعتمدة في معالجة الأحداث، وقياس طبيعة الإطار السائد الذي جرى بواسطته تفسير العدوان على غزة، والكشف عن مدى تغليب الأطر الأمنية والتبريرية على حساب الأطر القانونية والحقوقية.

جدول (٣): الإطار التفسيري

نسبة الظهور	الإطار التفسيري
٦٠٪	هجوم إرهابي
٢٠٪	ردّ دفاعي إسرائيلي
١٥٪	حدث أمني
٠٪	مقاومة احتلال
٠٪	سياق تاريخي

ثالثاً: تسويق مشاريع نزع سلاح المقاومة في الخطاب الإعلامي

يُفضي تحليل خطاب قناة الحدث خلال العدوان على غزة إلى تكريس مقاربة إعلامية تُسوِّق ضمناً لمشاريع نزع سلاح المقاومة عن طريق تقديم هذا الطرح بوصفه مخرجاً سياسياً وأمنياً للأزمة في ظل تجاهلٍ متعمَّدٍ للحديث عن حق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال في المقاومة.

يتجلى هذا الخطاب في الطريقة التي تُقدَّم بها النقاشات الإعلامية حول مستقبل غزة؛ إذ يُعاد طرح مسألة نزع سلاح المقاومة بوصفها شرطاً مسبقاً لأي تسوية سياسية أو إعادة إعمار، وغالباً ما تُعرض هذه الأطروحات ضمن أطر تبدو عقلانية أو براغماتية، لكنها في جوهرها تُنزع عن الفلسطينيين حقهم القانوني في المقاومة، وتُحصر خياراتهم بين الاستسلام أو استمرار المعاناة، ويؤدي هذا التأطير إلى إعادة تحميل الضحية مسؤولية استمرار العدوان، بدّل مُساءلة الاحتلال عن سياساته العدوانية.

كما تعتمد القناة على استضافة محللين "مُطبَّعين" يتبنَّون سردياتٍ تعد أنَّ سلاح المقاومة "يجرُّ الويلات" على الشعب الفلسطيني أو يُشكِّل أداةً لصراعاتٍ إقليمية لا تخدم المصلحة الوطنية، ويجري تعميم هذا الخطاب ليشمل جبهات الإسناد الأخرى، مثل لبنان واليمن والعراق؛ إذ تُقدَّم مشاريع نزع السلاح بوصفها ضرورةً إقليمية، وليست مطلباً إسرائيلياً صرفاً، ويكشف هذا التوسيع في الطرح عن محاولةٍ لشرعنة الرؤية الصهيونية على مستوى إقليمي أوسع.

ويتقاطع هذا الطرح مع تغييبٍ كاملٍ للنقاش القانوني المتعلق بحق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال في مقاومة المحتل بكل الوسائل المشروعة، فلا يُطرح نزع السلاح نتيجةً لإنهاء الاحتلال، بل شرطاً سابقاً عليه، وهو منطقٌ يعكس جوهر الرؤية الصهيونية الرامية إلى تفريغ أيِّ تسوية مستقبلية من مضمونها التحرري، ويُسهِّم الإعلام عن طريق هذا الخطاب، في تطبيع فكرة نزع سلاح المقاومة داخل الوعي العربي وتقديمها خياراً واقعياً أو حتمياً.

إن الترويج لضرورة نزع سلاح المقاومة يكشف عن الدور الذي يؤديه الإعلام في التمهيد السياسي والثقافي لمشاريع تستهدف جوهر الفعل المقاوم، بما يخدم الرؤية الصهيونية، ويُقوّض أسس النضال الفلسطيني والعربي.

رابعًا: تغييب الأصوات الفلسطينية واستضافة متحدثي الاحتلال

يُعَدُّ تغييب الأصوات الفلسطينية، ولا سيما تلك المعبّرة عن المقاومة أحد أكثر مظاهر الانحياز وضوحًا خلال تغطية معركة طوفان الأقصى والعدوان على غزة، ويتجلى هذا التغييب في اختلال واضح في تمثيل أطراف الصراع داخل الفضاء الإعلامي؛ إذ تُمنح الرواية الإسرائيلية مساحةً واسعةً للتعبير عن نفسها، في مقابل حضور هامشيٍّ أو مشروطٍ للرواية الفلسطينية، وغالبًا ما يُقدّم هذا الحضور ضمن أطرٍ تشكيكيةٍ أو دفاعية.

تَعتمد القناة بصورة متكررة على استضافة متحدثين رسميين باسم جيش الاحتلال، سواءً عن طريق المقابلات المباشرة أم عن طريق النقل المباشر للإحاطات والمؤتمرات الصحفية، وتُقدّم هذه المداخلات في كثير من الأحيان دون تفكيكٍ نقديٍّ أو مساءلةٍ مهنيةٍ جادة، وهو ما يَمنح الخطاب الإسرائيلي شرعيةً معرفيةً تجعل منه مصدرًا موثوقًا للمعلومة والتحليل، حتى عندما يتضمّن مزاعم غير مثبتةٍ أو رواياتٍ متناقضة مع الوقائع الميدانية.

في المقابل يُلاحظ غيابٌ شبه كامل لمثلي فصائل المقاومة الفلسطينية عن المشهد الإعلامي للقناة، سواءً في التغطيات الخبرية أم البرامج الحوارية، وعندما تُعرّض مواقف فلسطينية، غالبًا ما تكون مقتطفة، أو منقولة بصيغة غير مباشرة، أو مُحاطةً بتعليقات تحليلية تُضعف مضمونها أو تشكك في دوافعها، بما يُسهّم في تقويض قدرة الرواية الفلسطينية على التعبير عن ذاتها، وتحويلها إلى مادة ردّ فعلٍ لا خطابًا متكاملًا.

كما يظهر التحيز في طبيعة الأسئلة المطروحة داخل المقابلات؛ إذ تَميلُ الأسئلة الموجهة للضيوف المتماهين مع الرواية الإسرائيلية إلى الطابع التفسيري أو التبريري، في حين تُطرح

الأسئلة على الضيوف المؤيدين للقضية الفلسطينية بصيغةٍ اتهاميةٍ أو استجوابية، في صورةٍ واضحةٍ لخللٍ بنيوي في المعالجة الإعلامية.

استكمالاً لتحليلٍ تغيب الأصوات الفلسطينية واختلال تمثيل أطراف الصراع، ورصد مدى هيمنة المصادر الإسرائيلية أو المتماهية معها، يُقدّم الجدول الآتي نتائج التحليل الكمي لمصادر المعلومات والتحليل المعتمدة في عيّنة الدراسة.

جدول (٤): مصادر المعلومات

الفتنة الإعلامية	مصادر إسرائيلية	مصادر فلسطينية	مصادر دولية	مصادر مجهولة	مراسلون
النشرات	٦٨٪	٤٪	٦٪	١٠٪	١٢٪
التقارير	٧٢٪	٥٪	٨٪	٦٪	٩٪
المقابلات	٧٥٪	٠٪	١٠٪	٠٪	١٥٪
الإحاطات	١٠٠٪	٠٪	٠٪	٠٪	٠٪
الأخبار العاجلة	٧٠٪	٣٪	٥٪	١٢٪	١٠٪

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج العامة للدراسة

كشفت نتائج تحليل مضمون خطاب قناة الحدث خلال تغطيتها معركة طوفان الأقصى والعدوان على غزة أنَّ القناة لم تلتزم بمعايير التغطية المهنية المتوازنة في سياق نزاعٍ غير مُتكافئ، بل قدّمت خطاباً إعلامياً يتّسم بالحيازِ بنيوي واضحٍ ضد المقاومة الفلسطينية، وقد تجلّى هذا الانحياز في مستوياتٍ متعددةٍ شملت اللغة، والصورة، والمصادر، والأطر التفسيرية، بما يُشير إلى وجود منظومةٍ سرديةٍ متكاملة.

أبرزت الدراسة اعتماد القناة على مصطلحاتٍ تُشرعن الفعل العسكري الإسرائيلي عن طريق تسميته "جيشاً نظامياً"، مقابل تجريد المقاومة من صفاتها القانونية والسياسية، وحصرتها في توصيفاتٍ أمنية ضيّقة، وكذلك التغييب المنهجي لسياق الاحتلال والحصار، وإعادة تحميل المقاومة مسؤولية العدوان وتداعياته الإنسانية، بما أسهم في قلب معادلة الفاعل والضحية داخل الخطاب الإعلامي.

وأظهرت النتائج تطابقاً ملحوظاً بين خطاب القناة والرواية الصهيونية في تفسير الأحداث الكبرى، وتسويق مشاريع نزع سلاح المقاومة، وتغييب الأصوات الفلسطينية في مقابل تكريس حضور المتحدثين باسم الاحتلال، ضمن بنيةٍ تفسيريةٍ تتقاطع مع المصالح والمشاريع الغربية والإسرائيلية، ويُعاد إنتاجها بلغةٍ عربيةٍ موجهة.

وبيّنت الدراسة أنَّ الانتقاء البصري أدّى دوراً حاسماً في التمييز والانحياز عن طريق التركيز على مشاهد التفوق العسكري للعدو، مقابل تهميش صورة المقاومة وقدرتها على الفعل، بما يسهم في إعادة تشكيل الوعي العربي تجاه الصراع، عن طريق تطبيع العنف

الإسرائيلي، ونَزَعَ الطابع التحرُّري عن المقاومة الفلسطينية.

في إطار استخلاص النتائج العامة للدراسة، يُوضَّح الجدول الآتي نتائج التحليل الكمي لنبرة التغطية في المواد الإعلامية محلِّ الدراسة، من حيث اتجاهها العام بين التحييد الشكلي، أو النبرة السلبية تجاه المقاومة، أو النبرة المبرِّرة لأفعال الاحتلال، ويهدف هذا التحليل إلى قياس الاتجاه الغالب في الخطاب الإعلامي السعودي، وتقديم مؤشرٍ رقمي يُبيِّن طبيعة الموقف التحريري السائد، بما يدعم الاستنتاجات المتعلقة بطابع الانحياز البنيوي في التغطية.

جدول (٥): نبرة التغطية

الفئة الإعلامية	سلي تجاه المقاومة	محايد	إيجابي	سلي تجاه الاحتلال
النشرات	٨٢٪	١٨٪	٠٪	٠٪
التقارير	٧٨٪	٢٢٪	٠٪	٠٪
المقابلات	٩٠٪	١٠٪	٠٪	٠٪
الإحاطات	١٠٠٪	٠٪	٠٪	٠٪
العاجل	٨٥٪	١٥٪	٠٪	٠٪

ثانيًا: الاستنتاجات

تُخلصُ الدراسة إلى أنَّ خطاب قناة الحدث خلال المدة الزمنية المدروسة كان مُنسجمًا مع تحولاتٍ أعمق في بنية الإعلام العربي الموجه، المرتبطة بمسارات التطبيع السياسي وإعادة ترتيب الأولويات الإقليمية، ويكشف هذا الخطاب عن المشاركة السعودية في إعادة إنتاج سرديات الهيمنة، بما يضعها في موقعٍ متقدِّم ضمن منظومة التأثير في الوعي الجمعي العربي.

كما تستنتج الدراسة أن نَزَعَ الشرعية عن المقاومة الفلسطينية لم يكن عن طريق خطابٍ عدائيٍّ مباشر، بل عن طريق آلياتٍ لغويةٍ وبصريةٍ ناعمة، تُقدِّم في إطارٍ مهنيٍّ ظاهريٍّ، ما

يجعل تأثيرها أعمق وأطول أمداً؛ ليُصبح أكثر خطورةً من الدعاية الصريحة؛ لأنه يُفكِّكُ البديهيات الوطنية والقانونية داخل الوعي العربي، ذُوْنُ إثارةٍ مقاومةٍ مباشرةٍ من الجمهور.

ثالثاً: التوصيات

- **للباحثين ومراكز الدراسات:** ضرورة تكثيف الدراسات النقدية حول الإعلام العربي الموجّه، ولا سيما في سياقات الصراع، وتطوير أدواتٍ تحليليةٍ تُعنى بالتحيز البنيوي غير المعلن في الخطاب الإعلامي.
- **للإعلام المقاوم والبديل:** العمل على بناءٍ سرديةٍ إعلاميةٍ مهنيةٍ مضادة، تُعيد الاعتبار للسياق القانوني والتاريخي للصراع، وتُستثمر في الصورة والرواية واللغة ضمن أدوات المقاومة المعرفية التي لا تقل أهميةً عن الفعل الميداني.
- **للإعلاميين العرب:** إعادة النظر في معايير المهنة والحياد عند تغطية النزاعات غير المتكافئة، والتمييز بين التوازن الشكلي والتوازن القائم على العدالة والسياق.
- **للأبحاث المستقبلية:** توسيع نطاق البحث ليشمل مقارناتٍ بين منصاتٍ إعلاميةٍ عربيةٍ مختلفة، ودراسة تأثير هذا الخطاب في اتجاهات الرأي العام العربي، ولا سيما لدى فئة الشباب.

السلطة الفلسطينية ودورها في المشروع الصهيوني:

ما بعد "أوسلو" حتى طوفان الأقصى

زينب حسين الموسوي

مقدمة

في سياق التحوّلات العميقة التي شهدتها القضية الفلسطينية منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، تبرز السلطة الفلسطينية بوصفها أحد أكثر الكيانات السياسية إشكالية وإثارة للجدل في التاريخ السياسي الفلسطيني المعاصر. فمنذ نشأتها كإفرازٍ مباشرٍ لاتفاقيات "أوسلو" عام ١٩٩٣، لم تأخذ السلطة الشكل والهدف اللذين رُوجا لها رسميًا، بوصفها بنية إدارية انتقالية تمهد لإقامة دولة فلسطينية مستقلة، بل أخذت بالتحوّل تدريجيًا، نتيجة تضافر بعض العوامل وعلى ضوء بعض الممارسات، إلى أداة سياسية وأمنيةٍ مندجّة في منظومة إدارة الصراع وفق الشروط الإسرائيلية-الأميركية. وقد أعاد هذا التحوّل تعريف طبيعة النضال الفلسطيني، وحدود الممكن السياسي، ووظيفة القيادة، وصولًا إلى إعادة هندسة العلاقة مع الاحتلال.

تنطلق هذه الورقة البحثية من فرضيةٍ أساسيةٍ مفادها أنّ السلطة الفلسطينية، منذ تأسيسها وحتى ما بعد لحظة "طوفان الأقصى" في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ إلى اليوم، لم تفشل في تحقيق أهداف التحرّر الوطني فقط، بل أسهمت أيضًا في إدامة المشروع الصهيوني عبر أداءٍ وظيفيٍ تخادمي، سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا. فبدلًا من أن تكون رافعةً للتحرّر، عدّت وسيطًا بين الاحتلال والمجتمع الفلسطيني، يُخفّف عن "إسرائيل" أعباء السيطرة المباشرة، ويضبط الداخل الفلسطيني، ويحوّل الصراع من مواجهةٍ استعماريةٍ مفتوحة إلى عمليةٍ تفاوضيةٍ عبثيةٍ بلا أفقٍ سيادي.

تتناول الورقة مسار السلطة الفلسطينية ضمن سياقه التاريخي والسياسي الأوسع، بدءًا من اتفاقية "أوسلو" وما كرّسته من اعترافٍ فلسطيني بالكيان الصهيوني، مرورًا بالدور الوظيفي للأجهزة الأمنية وعقيدة التنسيق الأمني، وصولًا إلى فشل مشاريع الوحدة الوطنية والانقسام البنيوي في التمثيل السياسي الفلسطيني. كما تُحلّل موقع السلطة في مرحلة ما بعد اتفاقات "أبراهام"، بوصفها نموذجًا عربيًا مبكرًا للتطبيع الوظيفي، ومكوّنًا من مكوّنات إعادة هندسة النظام الإقليمي على قاعدة دمج "إسرائيل" في المحيط العربي والإسلامي مقابل تهميش القضية الفلسطينية.

وتُولي هذه الورقة أهميةً خاصةً لموقف السلطة الفلسطينية من المقاومة المسلحة، ولا سيما خلال معركة طوفان الأقصى وحرب الإبادة على غزة، التي كشفت عُُمق الفجوة بين السلطة والشارع الفلسطيني، وأظهرت بوضوح تموضعها السياسي والأمني ضمن السردية الغربية-الإسرائيلية التي تُجرّم المقاومة والعمل المسلّح وتحملهما المسؤولية عما يتعرّض له الشعب الفلسطيني من ويلات الاحتلال. كما تَبحث في التداعيات المستقبلية لهذا المسار، في ظل الخطط الأميركية الجديدة لإعادة ترتيب القطاع، وفقًا لما يُعرف بـ"خطة ترمب"، ونزع سلاح المقاومة، وإعادة إنتاج السلطة بوصفها كيانًا إداريًا منزوع السيادة.

في المحصلة، تُهدف هذه الورقة إلى تقديم قراءة نقدية شاملة لدور السلطة الفلسطينية، على ضوء اتّباعها مسارًا سياسيًا وأمنيًا ارتبط عضوياً بمشروع إدارة الصراع بدّل حسمه، وبإعادة إنتاج الهيمنة الاستعمارية على حساب مشروع التحرّر الوطني الفلسطيني.

أولاً: "أوسلو" والاعتراف الفلسطيني بدولة الكيان

شكّلت اتفاقيات "أوسلو" الموقّعة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين "الحكومة الإسرائيلية" عام ١٩٩٣ نقطة تحوّل في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني، فبعد الفشل في ترجمة الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ إلى مكسب، وبعد حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١) وتراجع الدعم العربي وتراكم الضغط الدولي على منظمة التحرير لاحتواء الانتفاضة وتبريد الساحة الفلسطينية، اختار ياسر عرفات اللجوء إلى "السلام" مع "إسرائيل" بديلاً عن الكفاح المسلح، وكانت أميركا أكثر الساعين إلى هذه الاتفاقية، فقد سعت إلى نقل الصراع من الميدان إلى طاولة التفاوض، وتفريغ الفعل الشعبي المقاوم من مضمونه السياسي التحرري، مقابل فتح الطريق واسعاً أمام "إسرائيل" للحصول على ما كانت تفتقده، أي الشرعية والاندماج الدولي^(١).

وهكذا، مثّلت اتفاقية "أوسلو" أول اعتراف فلسطيني بوجود الكيان الصهيوني، فيما أرسّت قواعد ربطت السلطة الفلسطينية - التي تُعدّ من مخرجات الاتفاقية - بالكيان الصهيوني، من الناحية الاقتصادية والأمن المشترك وغيرها؛ إذ صار التنسيق الأمني - العنوان المستمر لهذه الاتفاقية والارتباط الاقتصادي بالاحتلال - من أشد الأمور فتكاً بحياة الفلسطينيين^(٢).

فبينما أُخمدت الانتفاضة، وحُوّلت من مشروع تحرّر شعبي إلى ملفّ تفاوضي، حصّدت "إسرائيل" مكاسب استراتيجية كبرى؛ فقد حصلت على اعتراف فلسطيني رسمي بها، وتدقّقت بعدها الاعترافات الدولية والعلاقات الطبيعية معها، خصوصاً في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، ثم لاحقاً في العالم العربي، عن طريق تطبيع تدريجي، وصولاً إلى اختراق

(١) الخالدي، رشيد. (٢٠١٥). وسطاء الخداع: كيف قوّضت الولايات المتحدة الأمريكية عملية السلام في الشرق الأوسط. ترجمة سارة عبدالحليم. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٢) حسين، أحمد. ذكرى توقيع "أوسلو". حين تاهت الأولويات على حساب اللاجئين الفلسطينيين. بوابة اللاجئين الفلسطينيين. ١٣

سبتمبر ٢٠٢٢. متاح على الرابط: <https://2u.pw/0d3EXT>

عميق للأمن القومي العربي^(٣). فعلى وَفَع "مؤتمر مدريد"^(٤)، ثم مفاوضات "أوسلو"، أعادت دولٌ كبرى في الجنوب العالمي صياغةً علاقاتها مع "إسرائيل"، وخلال سنواتٍ قليلةٍ فُتحت "أوسلو" الباب أمام أكثر من ٣٥ دولةً آسيويةً وأفريقيةً ولاتينية لتطبيع علاقاتها مع "إسرائيل"، ما أتاح لها التغلغل في مناطق تؤثر مباشرة في الأمن القومي العربي^(٥)، في المقابل، لم يَحْصِد الفلسطينيين سوى وعدٍ مؤجَّلٍ بإقامة دولة فلسطينية.

أما داخل المجتمع الفلسطيني نفسه، فقد شكَّلت "أوسلو" أحد الأسباب البنيوية للانقسام الفلسطيني، بين الفصائل من جهة، وحتى داخل المجتمع الذي كان موحدًا خلف خيار المقاومة والعمل المسلح، ثم وجد نفسه منقسمًا حول "جدوى" هذا الخيار^(٦)، فمع نُشوء السلطة الفلسطينية انحاز جزءٌ من هذا المجتمع إلى منطق "إدارة الممكن"، الذي قاد عمليًا إلى تعميق الاستيطان؛ ف"أوسلو" لم تُصمَّم أصلاً لإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة؛ إذ خَلَّت نصوصها من أيِّ التزام بإنهاء الاحتلال أو وقف الاستيطان أو تحديد الحدود، ورخَّلت القضايا المصيرية كالقدس، واللاجئين، والحدود، والمستوطنات، والمياه، إلى "مفاوضات نهائية" بلا ضمانات، فيما تحوَّلت السلطة إلى مقاولٍ أمني يخدم الاحتلال^(٧).

النتيجة العملية لذلك، كانت توسيع الاستيطان، وتعميق التبعية الاقتصادية بواسطة "بروتوكول باريس"^(٨)، وتحويل القيادة الفلسطينية – التي امتهنت سياسةً تفاوضٍ فاشلةٍ وإدارةً سيئةً جعلت "شمعون بيريز" يقول: "كُنَّا نفاوض أنفسنا"، وابتعدت عن جوهر حقوق الشعب الفلسطيني – إلى إدارةٍ محليةٍ بلا أدوات تحرُّر^(٩).

(٣) الجندي، أحمد. الدولة الفلسطينية: بين خديعة أوسلو والاعترافات الجديدة. العربي الجديد. ١٦ أكتوبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://2u.pw/i9JW4H>

(٤) مؤتمر مدريد للسلام. الجزيرة نت. ٢٣ مارس ٢٠١٦. متاح على الرابط: <https://aja.me/jzn0rh>

(٥) الجندي. مصدر سابق.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الخالدي. مصدر سابق.

(٨) اتفاقية باريس الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل. ٢٩ أبريل ١٩٩٤.

(٩) مرة، رافت. "أوسلو ٣٠ عامًا، فشل كبير وخسائر استراتيجية وتضييع للقضية". المركز الفلسطيني للإعلام. ٩ سبتمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://2u.pw/L9oNOI>

ثانيًا: الدور الوظيفي الأمني للسلطة الفلسطينية في رام الله

منذ توقيع اتفاقية "أوسلو" (١٩٩٣)، دخلت القضية الفلسطينية مرحلة تحوّل بنيوي عميق، لم يكن جوهره فقط إعادة ترتيب العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية و"إسرائيل"، بل إعادة تعريف وظيفة السلطة الفلسطينية نفسها داخل منظومة الهيمنة الإسرائيلية-الأميركية؛ فقد أسّست "أوسلو" - نظريًا وعمليًا - نمطًا من التطبيع الوظيفي؛ إذ ألزمت السلطة الفلسطينية بالتعاون مع الإسرائيليين في إطار "سلام أمني"، وذلك عن طريق التدريب المشترك والمشاركة الاستخبارية المكثفة والتنسيق الأمني، فقد نصّت المادة الثامنة من اتفاقيات "أوسلو" على أنّ السلطة الفلسطينية يجب أن تحافظ على "النظام العام والأمن الداخلي" عن طريق "قوة شرطة قوية"^(١٠)، وقد حرصت السلطة على الالتزام بالتفاهات الأمنية؛ لكي "لا تُشكّل ذريعة" لـ"إسرائيل" للتملص من الاتفاقيات، على رغم استمرارها في توسيع دائرة استيطانها.

وبعد الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠، ونتيجةً لانخراط جزءٍ من الأجهزة الأمنية فيها، توافقت الولايات المتحدة الأميركية و"إسرائيل" والسلطة الفلسطينية - التي كانت منقسمةً ما بين عرفات وعباس، في أبريل/نيسان ٢٠٠٣ - على خارطة طريقٍ لإعادة إحياء "عملية السلام" وإنهاء "العنف والإرهاب" وبناء قيادة فلسطينية "تتصرف بحسم ضد الإرهاب". تضمّنت خارطة الطريق مجموعةً من الإجراءات للتعامل مع الفلسطينيين بما يشمل إعادة إصلاح الأجهزة الأمنية وتدريبها تحت إشراف أميركا؛ إذ تعمل على إحباط الهجمات الفلسطينية واعتقال المقاومين وتعطيل ومنع استهداف "إسرائيل"، وتفكيك البنية العسكرية ومصادرة السلاح من قبل الأجهزة الفلسطينية التي أُعيدَ تشكيلها^(١١).

(١٠) دائرة شؤون اللاجئين، منظمة التحرير الفلسطينية، الخطة السادسة: العودة إلى أرض الوطن، ٥ يوليو ٢٠١٨.

(١١) اتفاقية أوسلو، إعلان المبادئ - حول ترتيبات الحكومة الذاتية الفلسطينية، ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.

على إثر ذلك، دُمجت الأجهزة الأمنية وأُعيدَ هيكلتها مع ترسيخ عقيدة أمنية جديدة، بدأت تتشكّل وتبرز منذ عام ٢٠٠٥، وتُعرف بعقيدة "دايتون"، نسبةً إلى الجنرال الأميركي "كيث دايتون"، الذي أشرف على إصلاح الأجهزة الأمنية، وتقوم على ركيزتين أساسيتين، الأولى: استمرار التنسيق الأمني وتبادل المعلومات الاستخبارية مع "إسرائيل"، والثانية: حماية مشروع السلطة السياسي القائم على "عملية السلام" مع "إسرائيل" والمفاوضات، ومن ثمّ، حصرُ النضال الفلسطيني ضمن رؤية السلطة ومشروعها السياسي، ومحاربة التوجهات السياسية والنضالات كافة التي تتعارض مع هذا التوجه^(١٢).

فمنذ توليه السلطة في عام ٢٠٠٥، خلّفًا للرئيس الفلسطيني الراحل، ياسر عرفات عزّز محمود عباس التنسيق الأمني مع "إسرائيل" نهجًا أساسيًا لإدارة النزاع، والتزم به وفضّله ووصفه بـ"المقدس"، استراتيجيةً أساسيةً وحيويةً لإدارة العلاقات مع "إسرائيل" واستمراريتها، ومنذ الانقسام الفلسطيني في عام ٢٠٠٧، وبدعمٍ من أميركا و"إسرائيل"، تبلورت بشكلٍ أوضح استراتيجية السلطة في "مأسسة الأمن"، وذلك باستهداف أشكال النضال كافة في الضفة الغربية التي تُعدها "فلتانا أمنيًا"، فكتّفت من استخدام نظام الاعتقالات والاستدعاءات، الذي يُستخدم فيه التعذيب ضد النشطاء أو المعارضين، كما سهّلت - بحجة التنسيق الأمني في كثيرٍ من الأحيان - دخول "الجيش الإسرائيلي" إلى المناطق الخاضعة لسيطرتها؛ من أجل تنفيذ عمليات اعتقالٍ أو اغتيالٍ للنشطاء الفلسطينيين.

ويَتَّبَعُ الطرفان ما يُطلق عليه "سياسة الباب الدّوار"؛ إذ يَعْتَقِلُ "الجيش الإسرائيلي" الفلسطينيين فور إطلاق سراحهم من سجون السلطة الفلسطينية، أو العكس^(١٣)، كما تُشارك الأجهزة الأمنية المعلومات الاستخبارية حول النشطاء مع "إسرائيل"، وتعمل على

(١٢) جرابعة، محمود. النضال الفلسطيني في الضفة الغربية وتحدي المؤسسة الأمنية. مركز الجزيرة للدراسات. ٣١ مارس ٢٠٢٢. متاح على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5337>

(١٣) Hawari, Yara. The Palestinian Authority's Crackdown on Protest Shows It Will Never Serve Its Own People. The Guardian, September 1, 2021. Available at: <https://2u.pw/4Oj6Ma>

إحباط أي هجماتٍ أو مخططاتٍ قبل التحول إلى عملٍ عسكري أو جماهيري منظم ضد "الجيش الإسرائيلي" أو المستوطنات في الضفة الغربية^(١٤).

وهكذا، حوّلت اتفاقية "أوسلو" السلطة الفلسطينية إلى جهازٍ حكمٍ ذاتي منزوع السيادة، يعمل ضمن شروط الاحتلال، ويُقيّد بمجموعة التزاماتٍ أمنية صارمة. يعود ذلك إلى أنَّ القراءة الإسرائيلية للتنسيق انسجمت مع ميزان السيطرة الفعلية على الأرض، بينما استندت القراءة الفلسطينية إلى وهم الرعاية الدولية والوساطات. عملياً، مثّلت "أوسلو" ضالةً الإسرائيليين لتقاسمٍ وظيفي: الأرض والسيادة للاحتلال، وعبء السكان للسلطة، فمنذ تأسيس السلطة الفلسطينية، تعاملت "إسرائيل" معها بوصفها كياناً وظيفياً يوفر لها مستوى من الاستقرار الأمني، ويشكل طبقةً وسيطةً تفصل بين "الجيش الإسرائيلي" والمجتمع الفلسطيني، وتُخفّف عنها أعباء الحكم المباشر لملايين الفلسطينيين^(١٥)، كما اتّبعت "إسرائيل" — بهذا التنسيق — سياسةً تفويض المقاومة بالوكالة، فعن طريق الدعم المالي المشروط، والتنسيق الاستخباراتي، والتحكم بحركة الأفراد والسلع، جرى تحويل أجهزة أمن السلطة إلى أداة لضبط الداخل الفلسطيني، ولا سيما في الضفة الغربية؛ إذ رأت "إسرائيل" أن هذا النموذج أقل كلفةً من الاحتلال المباشر، وأكثر فاعليّةً في تفكيك البنى الاجتماعية للمقاومة.

ثالثاً: فشل مفاوضات توحيد الموقف الفلسطيني

يُعدُّ الانقسام الفلسطيني أحد أهم أسلحة الاحتلال لتثبيت جذوره الاستعمارية في وطنٍ منقسمٍ على نفسه، وعلى رغم خطورة هذا الأمر، إلا أنَّ محاولات توحيد الصف الفلسطيني تبدو أقرب إلى الحلم؛ إذ يُعدُّ وجود مشروعين يقفان على النقيض تماماً في تعريف

(١٤) خريطة الطريق. الجزيرة نت. ٣١ مارس ٢٠١١. متاح على الرابط: <https://aja.me/7frkj>

(١٥) الجندي، أحمد. متى تستغني إسرائيل عن السلطة الفلسطينية؟. العربي الجديد. ١ ديسمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

الاحتلال وكيفية التعامل معه سبباً جوهرياً في فشل هذه الوحدة، فمن جهة، تبنّت السلطة الفلسطينية نهج التسوية القائم على المفاوضات والالتزام باتفاقيات "أوسلو" وحل الدولتين، بما يستتبعه ذلك من قيودٍ سياسية وأمنية تفرضها العلاقة مع الاحتلال والمجتمع الدولي، ومن جهة أخرى، تمسكت فصائل المقاومة — وعلى رأسها حماس والجهاد الإسلامي — برفض الاعتراف بشرعية الاحتلال، واعتبرت المقاومة — بما فيها العمل المسلح — خياراً مشروعاً للتحرر.

وهكذا، شكّل التنسيق الأمني مع الاحتلال، الذي رأت فيه فصائل المقاومة طعنة مباشرة في خاصرة المشروع الوطني التحرري — خصوصاً في ظل الملاحقات والاعتقالات والوقوف في وجه الكفاح المسلح التي تقوم بها السلطة في الضفة الغربية — العقدة الأخطر أمام أيّ محاولة للوحدة.

على مستوى التمثيل، فشلت منظمة التحرير الفلسطينية — التي كانت في لحظة تأسيسها جبهة وطنية جمعت مختلف الطبقات الاجتماعية وقوى الثورة في مواجهة الاستعمار الصهيوني — في أداء دورها إدارياً جامعاً؛ إذ إنّ دورها هذا انتهى عام ١٩٧٤ (تبني شعار الدولة بدل التحرير)، ثم انتهى عملياً مع مسار "أوسلو" (١٩٩٣)؛ إذ جرى تفريغ المنظمة من مضمونها التحرري، وتحويلها إلى جسمٍ منزوع الإرادة، خاضع لمنظومة السلطة والتزاماتها الأمنية^(١٦).

واليوم، بدلاً من أن تُعاد هيكلتها ديمقراطياً ويُفتح المجال أمام كل القوى الفلسطينية للمشاركة، جرى تعطيل مؤسساتها وتحويلها إلى غطاءٍ شكلي لانفراد السلطة بالقرار؛ إذ لم يُعقد المجلس الوطني الفلسطيني جلسة حقيقية منذ سنة ١٩٩١، إلا اجتماعاً واحداً سنة ١٩٩٦ عُطّلت فيه أو أُلغيت معظم بنود الميثاق الوطني بما يتوافق مع استحقاقات

(١٦) بركات، خالد. "المقاومة الفلسطينية بين البطولة في الميدان وغياب المشروع السياسي". جريدة الأخبار اللبنانية. ٢٩ ديسمبر

٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://2u.pw/GWXQsk>

اتفاقية "أوسلو". وعلى رغم أنَّ اتفاق المصالحة ينص على إصلاح منظمة التحرير ومشاركة الفصائل الفلسطينية كافة فيها، كان سلوك قيادة المنظمة يُعطل الاستحقاقات المرتبطة بإصلاح المنظمة وإعادة بناء مؤسساتها، في حين أنَّ السلوك السياسي لفصائل المقاومة لا يسعى فقط إلى الشراكة في قيادة المنظمة، وإنما إلى إعادة بناء أولويات المشروع الوطني الفلسطيني على أسس ترفض التنازل عن الأرض وتحمي خيار المقاومة، ما يعني إعادة النظر في الاتفاقيات التي وقعتها المنظمة، وربما إلغاء أو تعديل عددٍ منها، وهو ما قد يكون محطَّ اعتراضٍ شديدٍ من قيادة "فتح" التي قد تسعى إلى قَطع الطريق على تغييراتٍ كهذه^(١٧).

هذا الواقع أبقى أزمة التمثيل قائمةً، ورَسَّخ شعورًا واسعًا بأن القرار الوطني مُحتَكِرٌ من نخبةٍ سياسيةٍ منفصلةٍ عن المجتمع. ثم جاءت محاولات توحيد الصف الفلسطيني المتكررة لتكشف أنَّ رَأْبَ الصَّدْعِ غير ممكن، فمنذ "إعلان القاهرة" عام ٢٠٠٥، مرورًا بـ "اتفاق مكة، والدوحة، والشاطئ، وموسكو، والجزائر"، وصولًا إلى "تفاهات بكين"، تبين أنَّ المشكلة تكمن في غياب إرادة حقيقية تَمسُّ جوهر السلطة الأمنية والقرار السياسي، وجاء تعطيل الانتخابات الفلسطينية - ولا سيما إلغاء انتخابات عام ٢٠٢١ - لِيُشكِّلَ ضربةً قاصمةً لأيِّ أفقٍ وحدوي؛ فبعد غياب الانتخابات منذ عام ٢٠٠٦، كان يُفترض أن تُمثِّلَ الصناديق مَدخلًا لإعادة بناء الشرعية وتوحيد التمثيل، إلا أنَّ قرار الإلغاء عمَّق الانقسام المؤسسي، وأغلق الطريق أمام وحدةٍ قائمةٍ على التفويض الشعبي.

إلى جانب ذلك، أدَّى "الفيديو الدولي" دورًا حاسمًا في إفشال الوحدة؛ فقد فُرضت شروطُ اللجنة الرباعية الدولية على أيِّ حكومةٍ وحدةٍ وطنية، وفي مقدمتها الاعتراف بـ "إسرائيل" ونَبْدُ المقاومة والالتزام بالاتفاقيات السابقة. وبينما رَفُضت فصائل المقاومة هذه الشروط، فضَّلت السلطة تَجَنُّبَ الحصار المالي والحفاظ على تدفُّق المساعدات الخارجية، التي استُخدِمت أداةً ضغطٍ على حساب الوحدة الوطنية.

(١٧) سعد الدين، نادية. تحديات المصالحة الفلسطينية بين قيود الداخل وإسرائيل. مجلة السياسة الدولية. ٢٤ أكتوبر ٢٠١٧.

متاح على الرابط: <https://www.siyassa.org.eg/News/15380.aspx>

لا يُمكن أيضًا فصل هذا الفشل عن الاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على تفتيت الجغرافيا الفلسطينية، وتجزئة التمثيل السياسي، والتعامل مع الفلسطينيين كياناتٍ منفصلة بلا مشروعٍ جامع، وبدلاً من أن تُشكّل السلطة رافعةً لمواجهة هذه السياسة، تكيّفت معها، وأصبحت جزءاً من إدارتها اليومية، ما جعل الانقسام يُخدم عملياً أهداف الاحتلال.

رابعاً: السلطة الفلسطينية وتيار "الصهيونية العربية" ما بعد اتفاقيات "أبراهام"

في ١٥ سبتمبر/أيلول ٢٠٢٠، وقّع الرئيس الأميركي دونالد ترامب، إلى جانب رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ووزيري خارجية البحرين والإمارات العربية المتحدة، اتفاقيات "أبراهام" في البيت الأبيض، وبتوقيعهم على هذا الاتفاق المتعدد الأطراف، أصبحت البحرين والإمارات أول دولتين عربيتين تُطعّعان علاقتهما مع "إسرائيل" بعد مصر عام ١٩٧٩ والأردن عام ١٩٩٤، وبذلك، تراجعت عنصر المفاجأة عند سكان المنطقة؛ ليحلّ محله شعورٌ بأنّ هذه الاتفاقيات ما هي إلا انعكاس لإعادة الاصطفاف الإقليمي، فقد بات يُنظر اليوم إلى هذه الاتفاقيات بوصفها "عارضاً من عوارض تحوّل القوة الأميركية، ترتيبٌ يُلقي الضوء على اعتماد واشنطن على الوكلاء في لحظةٍ يتّسم فيها النظام الدولي بعسكرةٍ مستمرة، مع تراجع الهيمنة الأميركية"^(١٨).

في ضوء ذلك، شكّلت اتفاقيات "أبراهام" (٢٠٢٠) لحظةً مفصليةً في إعادة هندسة النظام الإقليمي العربي، بوصفها تنويجاً لمسارٍ سياسي بدأ فعلياً منذ توقيع اتفاقية "أوسلو"؛ فقد عزّزت "إسرائيل" تعاونها الأمني مع بعض الأنظمة العربية، علنيّاً عن طريق اتفاقيات "أبراهام"، أو سريّاً تحت عنوان "مواجهة التهديد الإيراني" والإسلام السياسي^(١٩)، وهكذا، انعكس أثر هذه الاعترافات، في صعيد المنطقة، بأنّ "إسرائيل" لم تعد تُصدّر إلى الشعوب

(١٨) كِشافازيان، آرناغ. ٥ سنوات على اتفاقيات أبراهام: حدود الحماية والمكاسب. ترجمة سري أبو المنى. موقع صفر. ١٠ تشرين الأول ٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://alsifr.org/limits-protection-and-profits>

(١٩) Hamzawy, Amr. Ending The New Wars Of Attrition: Opportunities for Collective Regional Security In The Middle East. Carnegie. March 5, 2025. avalibel at: <https://h1.nu/1wdZ4>

العربية والإسلامية بوصفها عدوًا مغتصبًا لأرضٍ عربية، بل باتت تُقدّم شريكًا في "الاستقرار" و"الأمن" و"مواجهة الأخطار المشتركة".

ومع تطوّر هذا المسار، تبنّت الدول المنخرطة في "مشروع السلام"، سياسيًا وإعلاميًا وحتى عسكريًا، سردية الأمن الإسرائيلي جزءًا من خطابٍ رسمي عربي، وأعدت هندسة الوعي الجمعي العربي، وحتى الإسلامي، على مبدأ أنّ العدو ليس العدو الإسرائيلي "المحتل" و"المستعمر"، بل استعانت بمفاهيم فضفاضة مثل "الفوضى" و"الإرهاب" و"الإسلام السياسي" لتخلق عدوًا جديدًا، أي: كل من يقف في وجه مشروعها التطبيعي ويعطل "مسار السلام". على إثر ذلك، بات يُنظر إلى المقاومة الفلسطينية عائقًا أمام الاستقرار، لا بوصفها حركة تحررٍ وطني، فيما تُقدّم السلطة الفلسطينية نموذجًا "عقلانيًا" على التعايش والتعاون الأمني. هكذا، أصبحت السلطة الفلسطينية نموذجًا آلت إليه "العلاقات العربية-الإسرائيلية"، من التعاون الأمني، إلى تبادل المعلومات الاستخبارية، إلى إدماج "إسرائيل" في الأسواق العربية عن طريق اتفاقيات التجارة الحرة التي تتضمن كل منها بندًا يلزم الدولة الموقعة بالتطبيع مع "إسرائيل" ومنع أي مقاطعة للعلاقات التجارية^(٢٠)، وصولًا إلى تجريم العمل المقاوم المُعيق لعملية "السلام" ووسمِهِ بـ"الإرهاب"، ومن ثمّ، تحوّلت هذه الأنظمة إلى أدواتٍ وظيفية في يد الاستعمار، وحرصت على تقديم سلوكياتها بوصفها خيارًا "سياديًا" و"براغماتيًا".

لكن، ينظر كثير من المؤرخين والمحللين السياسيين إلى اتفاقيات "أبراهام" بوصفها وليدًا لاتفاقية "أوسلو"، التي وفّرت مباركةً فلسطينيةً لإدماج "إسرائيل" في الشرق الأوسط الأوسع فاتحةً الطريق للحكومات العربية - بقيادة مصر والأردن - لتبني التطبيع مع "إسرائيل" تحت مظلةٍ أميركية^(٢١)، فـ"أوسلو" رفعت الحرج عن بعض الأنظمة العربية، التي كانت تَبحث عن مخرجٍ من عبء القضية الفلسطينية، في السير بمسار التطبيع، بعد أن أسست نظريًا وعمليًا

(٢٠) هنية، آدم. تأطير فلسطين.. إسرائيل ودول الخليج وقوة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. The Transnational Institute.

١٣ يوليو ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://www.tni.org/en/article/framing-palestine?translation=ar>

(٢١) المصدر نفسه.

لمنطق القبول بـ"إسرائيل" مركّزًا للنظام الإقليمي، مقابل إدارة الصراع الفلسطيني لا حسمه، بما يَخدم استقرار هذه الأنظمة ووظائفها، وهكذا، جاءت اتفاقيات "أبراهام" لتوسّع هذا المنطق عربيًا، وتحوّله من خيارٍ فلسطيني رسمي إلى سياسةٍ إقليميةٍ شاملة.

تتجلى مخاطر هذه الاتفاقيات في أنها جعلت لـ"إسرائيل" آذانًا وعيونًا في الخليج على آسيا وإيران والصين والهند^(٢٢)، كما أنها أعادت التعريف بدور السلطة الفلسطينية وموقعها، وتحويل القضية الفلسطينية من شرطٍ مركزي في معادلات الإقليم إلى ملفٍ جانبي قابل للتجاوز، فبينما تُقدّم الاتفاقيات غالبًا في الإعلام السائد على أنها جزءٌ من "عملية السلام" الفلسطينية-الإسرائيلية، تبيّن أنّ هذه الاتفاقيات لا تَمُتُّ بصلّةٍ إلى حياة الفلسطينيين، بل هي في جوهرها اتفاقياتٌ أمنيةٌ تخدم شريحةً ضيقةً من النخب السياسية والرأسمالية العابرة للحدود^(٢٣)؛ فقد أسهمت هذه الاتفاقيات في فك الارتباط بين التقدم في حل القضية الفلسطينية، وبين تطبيع علاقات الدول العربية بـ"إسرائيل"؛ إذ أصبحت "العلاقات العربية-الإسرائيلية" متحرّرة من قيد التقدم في علاج القضية الفلسطينية^(٢٤)، وبذلك، جرى تهميش القضية الفلسطينية وحرمانها من العمق والظهير العربيّ بوصفهما ورقة دعمٍ أساسيةٍ للنضال الفلسطيني، بل أكثر من ذلك، تحوّل هذا الظهير العربي من دعمٍ إلى عبءٍ على الجانب الفلسطيني لمواجهة آثاره وتداعياته^(٢٥)، وهكذا، بات تحقيق السلام الاقتصادي على حساب مبدأ "السلام في مقابل الأرض" هو المبدأ الموجه إلى التسوية الشاملة منذ وقت طويل^(٢٦).

(٢٢) محمد، عبد العليم. "اتفاقيات أبراهام" والنموذج الجديد للتطبيع: قراءة تحليلية. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ١٤٠، خريف ٢٠٢٤.

(٢٣) كيشافازيان. مصدر سابق.

(٢٤) أبراش، إبراهيم. القضية الفلسطينية في زمن التطبيع العربي. حضارات للدراسات السياسية والاستراتيجية. ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٠. متاح على الرابط: <https://2u.pw/bKojbh>

(٢٥) محمد. مصدر سابق.

(٢٦) سعد الدين، نادية. السلام الاقتصادي. الجزيرة نت. ٧ يوليو ٢٠١٣. متاح على الرابط: <https://aja.me/6pkxka>

أمّا الخطر الأعظم، فيتمثّل في أن هذه الاتفاقيات تتبنّى بشكلٍ أو بآخر الرواية الإسرائيلية في مرحلتها الراهنة، وهي تحميل الشعب الفلسطيني وقيادته مسؤولية التعثر في التوصل إلى الحل، واعتبارهما معوّقين "للسلام"؛ لأنّ الخطاب الذي رافق هذه الاتفاقيات والتطبيع الملازم لها أضفى نوعاً من "الملائكية" على "إسرائيل" بوصفها الساعية دوماً إلى السلام، التي تمد يدها إلى العالم العربي، بينما "شيطن" و"أبلس" الفلسطينيين بوصفهم يرفضون اليد الممدودة إلى السلام^(٢٧).

وهكذا، منحت اتفاقيات "أبراهام" "إسرائيل" مكسباً استراتيجياً مزدوجاً، فمن جهة، حقّقت اختراقاً إقليمياً واسعاً على الصعد كافة من دون تقديم أيّ تنازلٍ سياسي للفلسطينيين، ومن جهة أخرى حصلت على تفكيكٍ عملي لفكرة أنّ فلسطين تُمثّل المدخل الإجباري لأيّ انفتاح عربي، فهذه الاتفاقيات استندت إلى فكرةٍ راسخة لدى بعض الاستراتيجيين الإسرائيليين، مفادها أنّ الاتفاقيات الثنائية مع الدول العربية يُمكن أن تُوفّر الأمن عن طريق التجارة والتبادل الاقتصادي، مع تهميش الفلسطينيين وتأجيل أيّ استحقاقٍ يتعلق بحقوقهم في تقرير المصير^(٢٨). وبالفعل، صمّمت اتفاقيات "أبراهام" عن جميع قرارات الأمم المتحدة التي تتعلق بالقضية الفلسطينية، سواء تلك الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، أم عن مجلس الأمن، أم التي تتعلق بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وعدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة والعدوان^(٢٩).

أما من جهة السلطة الفلسطينية – التي أزيحت عن الاتفاقيات ولم تُشارك فيها – فقد أضعف هذا التحول موقعها؛ لأنّ قدرتها على استخدام "الشرعية العربية" أداة ضغطٍ تآكلت إلى حدٍّ بعيد، فمع اتفاقيات "أبراهام"، لم تعد "إسرائيل" بحاجة إلى السلطة الفلسطينية لتكون بوابة التطبيع أو شاهداً على "عملية السلام"، على

(٢٧) محمد. مصدر سابق.

(٢٨) كشافارزيان. مصدر سابق.

(٢٩) محمد. مصدر سابق.

العكس، بات تجاوز السلطة أحد شروط نجاح هذا المسار، وهذا ما أدّى إلى عزل سياسي متزايد للسلطة، وإلى انحسار قدرتها على إعادة تدويل القضية الفلسطينية أو فرضها بنداً مُلزمًا على الأجندة العربية^(٣٠). فالانفتاح الاقتصادي والتكنولوجي والأمني بين دول عربية و"إسرائيل" الذي جرى من دون أيّ مقابلٍ سياسي للفلسطينيين، رسّخ موقع السلطة الفلسطينية مجرد كيّانٍ إداري محلي، لا دور - سياسيًا إقليميًا - لها. وقد امتدّت انعكاسات "أبراهام" لتشمل الجوانب المالية والديبلوماسية للسلطة الفلسطينية أيضًا، فبعض الدول التي اندفعت نحو التطبيع قلّصت انخراطها في دعم السلطة أو ممارسة ضغطٍ فعلي على "إسرائيل"، مفضّلة الحفاظ على علاقاتها الجديدة معها، وبذلك، تراجعت أدوات الضغط غير المباشرة التي كانت السلطة تراهن عليها، سواءً عن طريق الوساطات العربية أم عن طريق توظيف الإجماع العربي التقليدي، ذلك كله زاد من ارتكانها للمانحين الغربيين وللتنسيق مع الاحتلال بوصفه شرطًا لبقائها.

في المحصلة، إنّ ما سُمّي طويلاً بـ"الدعم العربي الرسمي" لم يكن - في جوهره - سوى وصفةٍ لتخريب الثورة الفلسطينية وإفساد بنيتها القيادية والسياسية، وقد استُخدم هذا "الدعم" أداةً للضبط والاحتواء، وربط القرار الوطني الفلسطيني بحسابات الأنظمة لا بمصالح التحرير، فقد كان المال النفطي وسيلةً لإعادة هندسة القيادة، وتشجيع البيروقراطية، وإضعاف الطابع الشعبي الكفاحي، وتحويل الثورة إلى جهازٍ يعتمد على التمويل الخارجي ويخضع لشروطه وسُقوفه السياسية، وهكذا انتقل الخطاب الفلسطيني، من "الثورة" إلى "الدولة" إلى "السلطة"، وصولاً إلى العدم^(٣١).

(٣٠) العطاونة، أحمد. السلطة الفلسطينية ونظرية "الضفدع المغلي". الجزيرة نت. ٢٧ يوليو ٢٠٢٥. متاح على الرابط: <https://aja.ws/a1xnzt>

(٣١) بركات. مصدر سابق.

خامساً: موقف السلطة الفلسطينية من المقاومة و"طوفان الأقصى"

منذ نشأتها، اتخذت السلطة الفلسطينية موقفاً سلبياً بنوياً من المقاومة المسلحة، بوصفها تهديداً وجودياً لمشروعها السياسي، هذا الموقف تعمق بعد الانتفاضة الثانية، حين جرى تحميل المقاومة مسؤولية "تدمير مشروع الدولة"، بينما جرى تجاهل حقيقة أن "إسرائيل" استخدمت "أوسلو" نفسه غطاءً لتوسيع الاستيطان وتفكيك أيّ أفقٍ سيادي فلسطيني مستقل^(٣٢).

ثم جاء "طوفان الأقصى" (٧ أكتوبر ٢٠٢٣)، الذي شكّل لحظةً كشفت النقاب أمام كثيرٍ من الفلسطينيين وغيرهم عن موقع السلطة الفلسطينية من الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي؛ فقد أظهرت ردود فعل القيادة الفلسطينية الرسمية حجم الفجوة بين خطابها السياسي وسلوكها العملي، وبين ادّعاء تمثيل الشعب الفلسطيني وممارساتها على الأرض، ولعلّ أخطر ما تجلّى في سلوكها هو العجز الكبير عن التفاعل مع القضايا الوطنية الكبيرة والملحّة، فلا تكاد تلمح موقفاً جاداً أو حضوراً للقيادة السياسية تجاه الإبادة الجماعية والتدمير والتجويع الذي يتعرّض له قطاع غزة^(٣٣)، فقد ركّز خطابها على "رفض العنف من الطرفين"، واستعادة "الشرعية الدولية" و"حل الدولتين"، عندما كانت غزّة تُباد على مرأى العالم ومسمعه، وكما جرت العادة، لم تتخلّ السلطة الفلسطينية - حتى في أكثر اللحظات الوطنية مصيرية - عن أداء دورها الوظيفي في خدمة الاحتلال، عن طريق تبني الخطاب الغربي-الإسرائيلي الذي يسعى إلى عزل المقاومة وتجريمها وإخراجها من سياقها التحرري؛ فقد أدان "أبو مازن" (في كلمةٍ بُثّت عن طريق الفيديو في الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦ سبتمبر / أيلول ٢٠٢٥)، هجمات السابع من أكتوبر، وأفاد أنّها لا تُمثّل الشعب الفلسطيني، مُطالباً حماس بتسليم سلاحها، في حين أقرّ أنّ "من حق إسرائيل الحصول على الأمن الكامل، وهذا واجبنا"، في تصريحٍ له في السعودية في ٢٨ أبريل / نيسان ٢٠٢٤.

(٣٢) جرابعة. مصدر سابق.

(٣٣) العطاونة. مصدر سابق.

الأخطر من ذلك، أنَّ أجهزة السلطة كُتِّفت بشكلٍ كبيرٍ سياسةً الضبط الأمني خلال الحرب في الضفة الغربية، عن طريق ملاحقة خلايا المقاومة، ومنع التظاهرات، والتنسيق مع "الجيش الإسرائيلي"^(٣٤)، هذا السلوك عزَّز الانطباع بأنَّ السلطة ترى في المقاومة "مشكلة أمنية" يجب احتواؤها، وفي التنسيق الأمني نصًّا مقدَّس حتى في ذروة العدوان والانتهاكات الإسرائيلية لكل الاتفاقيات، ولا يُمكن فهم موقف السلطة الفلسطينية من المقاومة و"طوفان الأقصى" إلا بوصفه امتداداً عضويًّا لمسارٍ بدأ مع "أوسلو" وتكرَّس عبر عقودٍ من إدارة الصراع تحت سقف الاحتلال؛ إذ إنَّ هذه السلطة التي فقدت شرعيتها الداخلية، التي باتت تعتمد بإطرادٍ على الدعم الدولي والاعتراف الدبلوماسي، راحت تُصعَّد في تقديم أوراق الاعتماد للخارج، ولـ"إسرائيل"؛ كي لا تفقد شرعيتها الخارجية، في هذا الإطار، تُصبح معارضة المقاومة وملاحقتها وتضييق الخناق عليها شرطاً أساسياً لاستمرار هذه الشرعية الخارجية.

في المحصلة، يُشبه المؤرخ الفلسطيني، الدكتور رشيد الخالدي، في مقابلةٍ تلفزيونية، وفي معرض كلامه عن الدور السلي لسلطة رام الله، هذه السلطة بالمجموعات الجزائرية التي انحازت للاستعمار الفرنسي وقاتلت معه ضد قوات الثورة الشعبية، وأُطلق عليهم آنذاك اسم "الحركي"، فقال الخالدي: "السلطة الفلسطينية تقوم بدور شرطيٍّ مقاولٍ للاحتلال هذا صحيح، وهو يُوفر الأمن للمستوطنين الإسرائيليين وليس للمواطنين الفلسطينيين، هذه ليست سلطةً فلسطينية، هؤلاء "حركي" كما كانت فرنسا تُطلق على عملائها في الجزائر، هؤلاء ناس مرتزقة يشتغلون عند العدو عمليًّا!"

(٣٤) عبود، حسن. الأوسع منذ ٧ أكتوبر.. ما سر تصعيد سلطة عباس الاعتقالات السياسية بالضفة؟. صحيفة الاستقلال.

(دون تاريخ). متاح على الرابط: <https://www.alestiklal.net/ar/article/aatqalat-alslth>

سادساً: مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء خطة ترمب

في ضوء خطة الرئيس الأميركي دونالد ترمب لإنهاء الحرب على قطاع غزة، يبدو مستقبل القضية الفلسطينية في مرحلةٍ ضبابيةٍ ومعقدة، ومن غير الممكن التنبؤ بما سيؤول إليه؛ لأنّه رهنٌ بالمتغيرات الداخلية، الفلسطينية والإسرائيلية على حدٍ سواء، والإقليمية والعالمية أيضاً، في عالمٍ يعجُّ بالأحداث المصيرية المتسارعة.

ولكن، من حيث الشكل، يُعدُّ المقترح الأميركي، المكوّن من عشرين بنداً، تحوُّلاً سياسياً يُعيد تشكيل مركز القرار في القطاع، فالتسوية الجديدة تنقل إدارة الملف من ساحة المواجهة العسكرية إلى صيغةٍ وصايةٍ دوليةٍ (سياسية وأمنية) تقودها واشنطن عن طريق "مجلس السلام". وعلى رغم أنّ تفاصيل تشكيل هذا المجلس وآليات عمله وعلاقته بالسلطة الفلسطينية غير واضحة، ولكن يُتوقَّع أن تؤدي الإدارة الأميركية، برئاسة دونالد ترمب، الدور المركزي فيه، سواءً من حيث التمويل أم الرقابة أو القرار^(٣٥).

كما تربط الخطة بين إعادة الإعمار ونزع سلاح المقاومة؛ إذ تُصبح كل خطوة إنسانية أو اقتصادية، من فتح المعابر إلى تشغيل المشاريع، مشروطةً بتقارير أمنية تُرفع إلى مجلس الأمن، في المقابل، لا تُلزم الخطة الاحتلال بإنهاء الحصار البحري والجوي أو وقف الاستيطان والضم في الضفة الغربية، ما يُبقي ميزان القوة مختلاً ويثبّت أولوية الأمن الإسرائيلي على الحقوق الفلسطينية، ويُحوّل الإعمار إلى أداة ضغط سياسي وأمني بدلاً من أنّه حق إنساني، وهكذا، يُطالب الفلسطينيون بتقديم كلّ عناصر القوة التي يملكونها، فيما يحتفظ الاحتلال بكلّ عناصر التفوّق والهيمنة^(٣٦).

(٣٥) الخالدي، سمير. خطة ترمب لغزة: إنهاء للحرب أم تمهيد لوصاية دولية؟. العربي الجديد. ١٩ نوفمبر ٢٠٢٥. متاح على

الرابط: <https://2u.pw/kenCjL>

(٣٦) المصدر نفسه.

أضف إلى ذلك، أنَّ الخطة تضع السلطة الفلسطينية في موقعٍ مؤجِّلٍ ومشروطٍ؛ إذ يُفترض أن تعود لإدارة غزة فقط بعد إتمام "إصلاحات" يحددها المجتمع الدولي من دون جدولٍ زمني واضحٍ أو معايير شفافة، هذا الطرح يتعامل مع غزة وحدةً منفصلةً عن الضفة الغربية والقدس وقضية اللاجئين، ما يؤدي إلى تفكيك القضية الفلسطينية إلى مسارات منفصلة، ستؤثر سلبيًا ليس في حماس وحدها، بل على الأطراف الداخلية كلها، والأطراف العربية والإسلامية الداعمة، وستكون الخسارة الاستراتيجية الكبرى للقضية الفلسطينية كاملة^(٣٧)؛ إذ يُعيد هذا الترتيب إنتاج فجوةٍ استراتيجيةٍ كبيرة، فيُتيح لـ"إسرائيل" تفادي أيِّ تهديدٍ مستقبلي من القطاع، ويُعمِّق تفوقها العسكري والسياسي، بينما يُجرِّد الفلسطينيين من أدوات القوة التي يملكونها، وهو ما ينسجم تمامًا مع الرؤية الإسرائيلية الراضية لأيِّ دولةٍ فلسطينيةٍ ذات سيادة.

في الخلاصة، لا يُحسَم مستقبل القضية الفلسطينية بنصوص الخطة وحدها، بل بقدرة الفلسطينيين على تحمُّل تبعات الحرب والحصار المفروض عليهم، ولا سيما الاقتصادي، وعلى التكاثُف والتعاضُد لإنتاج لحظة تحرُّرٍ وطني عن طريق الكفاح المسلح، في اللحظة الإقليمية والوطنية المناسبة.

(٣٧) خطة ترمب لغزة... ضبابية وإشكاليات جوهرية تعقّد المشهد الفلسطيني. الجزيرة نت. ٣ أكتوبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

اتفاقات "السلام" بين مصر و"إسرائيل":

بين الواقعية والوقية السياسية

فواز أحمد النقاش

مقدمة

شكّلت اتفاقيتا "كامب ديفيد" (١٩٧٨) و"معاهدة السلام" المصرية الإسرائيلية (١٩٧٩) نقطة تحوّل محورية في تاريخ الصراع العربي مع الكيان الإسرائيلي والجيوستراتيجية الإقليمية، فعن طريق هذه الاتفاقات، أقدمت مصر – التي كانت تُمثّل تاريخيًا الثقل الاستراتيجي للعالم العربي وقائدة الحروب العسكرية مع الكيان الإسرائيلي – على خطوة غير مسبوقَةٍ لتُصبح أول دولة عربية تُبرم سلامًا رسميًا وتُنتهي حالة الحرب.

هذا التحوّل الدراماتيكي لم يكن مجرد قرارٍ سياسي، بل كان حدثًا أعاد تشكيل المنطقة بأسرها، وأثار جدلاً عميقًا وممتدًا لم يهدأ حتى اليوم، فانقسمت الآراء حول تقييمه بين رؤيتين متضادتين، الأولى: تعدّه انتصارًا للواقعية السياسية، وقرارًا حتميًا استند إلى قراءة دقيقة لموازن القوى والمصلحة القومية المصرية العليا، التي تطلّبت استعادة "سيناء" وتجنّب البلاد ويلات حروبٍ مدمرة، أما الرؤية الثانية: فتراه وقيةً سياسيةً كبرى، أخرجت مصر من عمقها العربي، وفَتّحت الموقف الموحد تجاه القضية الفلسطينية، ومهّدت الطريق لموجات تطبيعٍ لاحقةٍ أضرت بالقضية المركزية للأمة.

تهدف هذه الورقة إلى تحليل هذه الجدلية المعقدة عن طريق تطبيق منظور الواقعية السياسية، التي تُفسّر سلوك الدول بناءً على سعيها العقلاني لتعظيم قوّتها وتأمين مصالحها في نظامٍ دوليٍّ فوضويٍّ، كما تسعى الورقة إلى تتبّع واستكشاف التداعيات بعيدة المدى

لهذا "السلام" على مفهوم الأمن القومي المصري، وصولاً إلى المسار الذي أدّى إلى ظاهرة "الصهيونية العربية"، وتقييم الموقف المصري الراهن في ظلّ التحديات المستجدة، وأبرزها العدوان الإسرائيلي على غزة أعقاب عملية طوفان الأقصى.

المحور الأول: السياق الاستراتيجي لاتفاقات "كامب ديفيد" وخروج مصر من الصراع العربي مع الكيان الإسرائيلي

لم تكن اتفاقات "كامب ديفيد" وليدة لحظة عابرة، بل كانت النتيجة الحتمية لمسار طويل ومعقد من التحولات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي عصفت بمصر والمنطقة العربية، ولم تكن صدمة هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧، جرحاً غائراً في الكبرياء الوطني فحسب، بل فرضت واقعاً جيوسياسياً كارثياً باحتلال سيناء، ممّا وضع الأمن القومي المصري تحت تهديد مباشر، وعلى الرغم من أنّ حرب الاستنزاف (١٩٦٩-١٩٧٠) أثبتت قدرة الجيش المصري على الصمود وإلحاق خسائر بالعدو، إلا أنّها أكدت في الوقت ذاته التكلفة البشرية والمادية الباهظة لاستمرار حالة الحرب المفتوحة^(١).

جاءت حرب أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٣ لتُمثّل نقطة التحول البارزة، على الرغم من أنّها لم تُحقّق نصرًا عسكريًا كاسحًا يؤدي إلى التحرير الكامل، إلا أنّها نجحت في تحقيق هدفها الاستراتيجي الأسمى: تحطيم أسطورة "الجيش الذي لا يُقهر" وإعادة بناء الثقة لدى المقاتل المصري والعربي، والأهم من ذلك، أنّها منحت الرئيس الراحل أنور السادات القدرة على المبادرة السياسية من موقع قوة نسبية، ورأى السادات أنّ الحرب قد أدّت مهمتها في كسر الجمود، وأنّ استكمال التحرير يتطلب أدوات مختلفة في ظلّ واقعٍ دوليٍّ جديد، تُهيمن عليه الولايات المتحدة بشكلٍ شبه كاملٍ وتلتزم فيه بشكلٍ مطلقٍ بأمن الكيان الإسرائيلي^(٢).

(١) Gat, Moshe. (2018). The Arab-Israeli Conflict, 1956-1975: From Violent Conflict to a Peace Process. Milton Park, Abingdon, Oxon: Routledge.

(٢) Gawrych, George W. (1996). The 1973 Arab-Israeli War: The Albatross of Decisive Victory. Fort Leavenworth, KS: Combat Studies Institute, U.S. Army Command and General Staff College.

وعلى هذا الأساس، أطلق "السّادات" استراتيجيته الجديدة القائمة على مقولته الشهيرة "٩٩٪ من أوراق اللعبة في يد الولايات المتحدة"، التي تجلّت في اتفاقيات "فك الاشتباك الأولى والثانية" (١٩٧٤-١٩٧٥) بواسطة "هنري كيسنجر"، لكنّ الجمود السياسي الذي تلا ذلك، وإدراكه أنّ الدبلوماسية التقليدية لن تُحرّك ساكنًا، دفعه إلى خطوته الأكثر جرأة: إعلانهُ استعدادهُ للذهاب إلى القدس^(٣).

وهدّفت "مبادرة نوفمبر" ١٩٧٧ من وجهة نظر القيادة المصرية إلى تحقيق ما هو أبعد من مجرّد التفاوض، أي: هدّفت إلى كسر الحاجز النفسي الهائل بين العرب والإسرائيليين، وتجاوز الدبلوماسية التقليدية، وإحراج حكومة الكيان الإسرائيلي اليمينية والولايات المتحدة أمام العالم، وبالفعل مهّدت الزيارة الطريق لتدخّل الرئيس الأمريكي حينذاك "جيمي كارتر"، الذي استثمرَ هذا الزخم الكارثي ودعا "السّادات" و"مناحم بيغن" إلى عزلة منتجع "كامب ديفيد" لمدة ١٣ يومًا من المفاوضات الشاقّة والمضنية.

أسفرت هذه المفاوضات عن وثيقتين متناقضتين في طبيعتهما وجوهرهما:

أولاً: "إطار السلام" في الشرق الأوسط^(٤): وثيقة طموحة نظريًا، لكنّها غامضة وعامة في تفاصيلها، وقدّمت حلًا ضبابيًا للقضية الفلسطينية عن طريق إنشاء "سلطة حكم ذاتي" انتقالية في الضفة الغربية وغزة، دُون تحديد صلاحياتها أو مصيرها النهائي، واستخدمت الوثيقة لغةً مطّاطةً، مثل "الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني"، دُون تحديد ماهيّة هذه الحقوق أو الإشارة الصريحة إلى دولةٍ مستقلةٍ أو حق العودة للاجئين، ولقد كانت هذه الوثيقة - في جوهرها - بمقام الغطاء "العُروبي" الضروري الذي سمّح للسّادات بتمرير الاتفاق الشائني أمام شعبه وأُمَّته.

(٣) هيكل، محمد حسنين. (١٩٨٣). خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

(٤) United States, Department of State. "The Framework for Peace in the Middle East." In A Framework for Peace in the Middle East Agreed at Camp David. Washington, D.C., September 17, 1978. Accessed December 5, 2025. <https://peacemaker.un.org/en/node/9423>

ثانيًا: إطار "معاهدة السلام" بين مصر وإسرائيل^(٥): على النقيض تمامًا، كانت هذه الوثيقة إجرائية، واضحة، ودقيقة، ونصّت على انسحاب إسرائيلٍ كاملٍ من سيناء على مراحل، مقابل تطبيع كامل للعلاقات (دبلوماسية، اقتصادية، ثقافية)، والأهم من ذلك، أنّها تضمّنت مُلحقًا أمنيًا مفصّلًا قسّم سيناء إلى ثلاث مناطق (أ، ب، ج) بقيود صارمة ومتدرجة على حجم ونوعية القوات المصرية، مع وجود قوات مراقبة دولية، هذا الملحق – الذي كان شرطًا أساسيًا لطمأنة الكيان الإسرائيلي أمنيًا – صار لاحقًا أحد أكثر جوانب المعاهدة إثارة للجدل فيما يتعلّق بالسيادة المصرية الكاملة على أراضيها.

بناءً على الإطار الثاني، وُقِّعت "معاهدة السلام" في مارس / آذار ١٩٧٩، وكانت تداعياتها الاستراتيجية فوريةً ومدوية، فبمجرد خروج مصر – القوة العسكرية والديموغرافية الأكبر – من معادلة الصراع، انهارت فكرة "الجبهة الشرقية" و"الجبهة الغربية"، وتفكّكت استراتيجية المواجهة الشاملة، وقُوبِلَت الخطوة برفض عربيّ كاسحٍ في "قمة بغداد"، وجرى تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية ونقّل مقرّها إلى العاصمة تونس؛ لتدخل مصر في عزلةٍ عربيةٍ مريّةٍ استمرت عقدًا كاملاً، أمّا الموقف الفلسطيني فقد وجد نفسه معزولاً وأكثر ضعفاً من أيّ وقتٍ مضى؛ إذ استغلّت حكومة الكيان الإسرائيلي اليمينية الإطار الغامض للحكم الذاتي لتكثيف بناء المستوطنات، مُدْرِكةً أنّ الخطر العسكري المصري قد زال، وقد أدّى تحييد مصر إلى إطلاق يد الكيان الإسرائيلي في المنطقة العربية، وهو ما تجلّى بأبشع صوره في غزو لبنان واحتلال بيروت عام ١٩٨٢، وهي خطوةٌ كان من الصعب تصوُّرها في ظلّ وجود جبهةٍ مصريةٍ نشطة.

(٥) Egypt and Israel. Treaty of Peace between the Arab Republic of Egypt and the State of Israel. Washington, D.C., March 26, 1979. United Nations, Treaty Series, vol. 1136, no. 17813. Accessed December 5, 2025. Available at: <https://treaties.un.org/doc/publication/unts/volume%201136/volume-1136-i-17813-english.pdf>

المحور الثاني: قراءة القرار المصري من منظور الواقعية السياسية:

لفهم الدوافع العميقة وراء هذا القرار الجذري، تُوفّر نظرية الواقعية السياسية في العلاقات الدولية إطارًا تحليليًا قويًا، تفترض الواقعية أنّ الدول هي الفاعل الأساس في نظامٍ دولي فوضوي (Anarchic)، وأنّها تتصرف بوصفها كيانات عقلانية تسعى لضمان بقائها (Survival) وتعظيم قوّتها ومصالحها القومية، من هذا المنظور، قد يكون قرار السّادات خيانةً للأيديولوجيا القومية العربية، ومع هذا كان خيارًا استراتيجيًا خضع لحساباتٍ ضيّقةٍ للقوة والمصلحة في ظلّ ظروفٍ قاهرة.

لقد أجرى السّادات إعادة تعريف جذرية للمصلحة القومية المصرية، فبعد عقود كانت فيها هذه المصلحة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقيادة العالم العربي ومواجهة المشروع الصهيوني، أعاد السّادات ترتيب الأولويات لتُصبح "مصر أولًا"، وتمثّلت هذه المصلحة في أهدافٍ محدّدة وواقعيةٍ من وجهة النظرية الواقعية:

(١) **تحرير الأرض:** كانت استعادة سيناء، التي تُمثّل ١٦٪ من مساحة مصر، هدفًا وطنيًا مقدسًا لا يمكن التنازل عنه، ورأى السّادات أنّ استمرار الاحتلال يُمثّل إهانةً دائمةً للسيادة واستنزافًا لا ينتهي للموارد، وأنّ الحرب وحدها قد لا تضمن استعادتها بالكامل^(٦).

(٢) **إنقاذ الاقتصاد:** كانت مصر تُرّجَح تحت عبءٍ اقتصاديّ هائل بعد أربعة حروبٍ مدمرة، ووصلت الديون العسكرية للاتحاد السوفيتي إلى أرقامٍ كبيرة، والبنية التحتية كانت متهاكلة، ومعدلات التنمية متوقفة، رأى السّادات أنّ "السلام" سيُحرّر الموارد اللازمة للتنمية، وهو ما عبّر عنه بوضوح في شعاره "السلام من أجل الرخاء"^(٧).

(٦) Sadat, Anwar. "Speech to the Knesset." Jerusalem, November 20, 1977. The Jimmy Carter Presidential Library and Museum. Accessed December 5, 2025. <https://www.cartercenter.org/documents/nondocs/SadatKnessetSpeech.pdf>.

(٧) Waterbury, John. (1983). The Egypt of Nasser and Sadat: The Political Economy of Two Regimes. Princeton, NJ: Princeton University Press.

٣) **التحوّل الاستراتيجي:** رأى السّادات أنّ موازين القوى العالمية قد تغيّرت، ولم يُعدّ الاتحاد السوفيتي حليفًا قادرًا أو راغبًا في منحه الأسلحة الهجومية اللازمة لتحقيق نصرٍ حاسم، وفي المقابل، كانت الولايات المتحدة هي القوة المهيمنة عالميًا، والضامن الوحيد لأمن الكيان الإسرائيلي، ومفتاح أيّ تسوية، وأنّ التحوّل نحو واشنطن من منظورٍ واقعي، خيارًا عقلائيًا للحصول على النفوذ والتكنولوجيا والمساعدات الاقتصادية والعسكرية الضخمة التي بدأت بعد المعاهدة^(٨).

٤) **التفوّق العسكري:** عند تقييم ميزان القوى، كانت القيادة المصرية تُدرك الحقائق الصعبة على الأرض، وأنّ التفوق العسكري النوعي للكيان الإسرائيلي بفضل الدعم الأمريكي اللامحدود، وغياب جبهة عربية موحدة ومستعدة جعلها غير قادرة على خوض حربٍ أخرى، وقد سبق أن قاتلت مصر في ١٩٧٣ وهي تعلم أنّ الجبهة الشرقية - سوريا والأردن - أضعف من أن تتمكن من الصمود طويلًا.

أمام هذه المعادلة المعقّدة، وازن السّادات بين تكلفة الحرب ومنفعة "السلام"، وكانت تكلفة الحرب تعني استمرار استنزاف الموارد والخسائر البشرية مع عدم ضمان التحرير الكامل، أمّا منفعة "السلام" فكانت تعني استعادة "سيناء" كاملة، والحصول على مساعداتٍ أمريكية، وتأمين حدود الدولة للتفرّغ للتنمية الداخلية، ومن وجهة نظر الواقعية البحتة، كان "السلام" هو الخيار العقلاني الوحيد؛ لضمان بقاء الدولة المصرية ودوام أمنها، حتى لو كان ثمنه التخلي المؤقت عن الدور القومي والعزلة العربية.

لكنّ هذا التفسير الواقعي لا يخلو من نقاط ضعف، فالواقعية تتجاهل إلى حدٍ كبيرٍ دور الأيديولوجيا والهوية والرأي العام، ولقد أدّى "السلام" مع الكيان الإسرائيلي إلى صدمة ثقافية ونفسية عميقة في الوجدان المصري والعربي؛ إذ كان يُنظر إليها كيانًا استعماريًا، وأنّ حالة "السلام" على المستوى الشعبي، ورفض النقابات المهنية المصرية القاطع للتطبيع

(٨) Carter, Jimmy. (1995). Keeping Faith: Memoirs of a President. Fayetteville, AR: University of Arkansas Press.

لعقود، يُوضّح أن حسابات المصلحة على مستوى النخبة الحاكمة لا تُترجم بالضرورة إلى قبول شعبي، علاوة على ذلك، يمكن القول: إنَّ السّادات بالغ في تقدير قدرته على استخدام "السلام" مع مصر ورقة ضغط لإجبار الكيان الإسرائيلي على تقديم تنازلات حقيقية للفلسطينيين، ولقد راهن على أنَّ الكيان الإسرائيلي لن يضجّي بـ"السلام" مع الجارة الكبرى (مصر) من أجل التمسك بالضفة الغربية، لكنَّ الواقع أثبت أنَّ الكيان الإسرائيلي نجح في تحقيق الأمرين معًا: تحييد مصر ومواصلة مشروعه الاستيطاني بلا هوادة.

المحور الثالث: قراءة المسار المصري في ضوء ظاهرة "الصهيونية العربية" وتحدي "طوفان الأقصى"

المرحلة الأولى: التأسيس - مصر "فاتحة المسار" في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي:

لم يكن قرار مصر في "كامب ديفيد" مدفوعًا بأيديولوجيا "الصهيونية العربية" *، بل كان قرارًا واقعيًا براغماتيًا اتخذته الدولة من منطلق حسابات القوة والمصلحة القومية الضيقة، لكنَّ هذا القرار، وبدون قصد بالضرورة، وضع حجر الأساس الذي قامت عليه لاحقًا مبررات تيار "الصهيونية العربية" الجديد، وفتحت الباب على مصراعيه أمام المطّيعين الجدد، ولقد أسّس المسار المصري لهذه الظاهرة عن طريق الآتي:

(١) كسّر المحرّم عربيًا: كانت مصر هي التي كسّرت الحاجز النفسي والسياسي الأكبر، المتمثل في "لاءات الخرطوم الثلاث" (لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض)، بمجرد أن فعلتها الدولة العربية الأكبر والأقوى، أصبح مجرد التفكير في الأمر ممكنًا للدول الأخرى، حتى لو ظلَّ مرفوضًا لعقود^(٩).

* مصطلح حديث يصف تيارًا عربيًا يتبنى الرواية الإسرائيلية ويتماها مع أيديولوجيتها.

(٩) للمزيد من التحليل حول كيفية استهداف مبادرة السّادات لكسر إجماع الخرطوم، انظر:

William B. Quandt, Camp David: Peacemaking and Politics (Washington, D.C.: Brookings Institution Press, 1986).

٢) تَغليب المصلحة القُطرية على القومية*: أرسى "سلام السّادات" مبدأً أنَّ "مصلحة الدولة الوطنية" (مصر)، يُمكن أن تتجاوز الالتزام بـ"المصلحة القومية العربية" (القضية الفلسطينية)، وهذا المبدأ أصبح لاحقاً الحجة المركزية التي استخدمها كل المطبّعين العرب الجدد، وهو جوهر ما يسمّيه النقاد تيار "الصهيونية العربية"^(١٠).

٣) تبني نموذج "السلام مقابل الدعم الأمريكي": أظهر المسار المصري أنَّ "السلام" مع الكيان الإسرائيلي هو أقصر طريقٍ لكسب الرضا والدعم الأمريكي سياسياً، عسكرياً، واقتصادياً، هذا النموذج صار شديد الإغراء لِنخبٍ عربيةٍ أخرى تسعى لترسيخ حكمها وتأمين اقتصاداتها^(١١).

في هذه المرحلة، كانت مصر معزولةً عربيّاً، وكان خطابها الرسمي لا يزال يؤكّد على أنَّ سلامها "خطوة أولى" نحو سلامٍ شاملٍ وعادلٍ للفلسطينيين، ولم تتبنَّ مصر خطاب "الصهيونية العربية" الذي ينتقد الفلسطينيين أو يتجاهل حقوقهم، بل حاولت الموازنة بين سلامها المنفرد والتزامها التاريخي بالقضية.

المرحلة الثانية: انتشار واستنساخ النموذج المصري وتطويره (١٩٩٠ - ٢٠٢٢)

في هذه المرحلة، بدأت العوامل التي أدّت لظهور تيار "الصهيونية العربية" تتضح، وتزامنت مع انتشار نموذج التطبيع الذي بدّأته مصر، وتمثّلت هذه العوامل في:

* يصف هينبوش كيف أن النظام الإقليمي العربي انتقل من مرحلة "القومية العربية الراديكالية" (Pan-Arabism) في الخمسينيات والستينيات إلى مرحلة "الواقعية الدفاعية" وسيادة منطق الدولة (Statism) في السبعينيات وما بعدها. يعد هينبوش أن سياسة السّادات الانفتاحية والسلام مع "إسرائيل" هي التجسيد الأوضح لهذا التحول؛ إذ تصرف مصر بوصفها دولة قومية (Nation-State) تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة، بدلاً من التصرف بوصفها قائداً لحركة قومية عربية.

(١٠) للمزيد من التحليل حول أولوية "القُطري" على "القومي" أحد أهم تداعيات "كامب ديفيد"، انظر: بشارة، عزمي. المسألة العربية: محاولة في بيان ديمقراطي عربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧.

(١١) يحلل شبلي تلحمي كيف أن حزمة المساعدات الأمريكية لمصر بعد "كامب ديفيد" أرسّت نموذجاً استراتيجياً للدول العربية الأخرى يربط بين السلام مع إسرائيل والحصول على الدعم الأمريكي. انظر:

Shibley Telhami, The Stakes: America and the Middle East (Boulder, CO: Westview Press, 2002).

(١) تآكل المشروع القومي العربي: مع غزو العراق للكويت ثم الاحتلال الأمريكي للعراق، تفكّكت فكرة العمل العربي المشترك والأمن القومي العربي، وسادت حالة كل دولة تعمل لنفسها.

(٢) معاهدة "وادي عربة" (١٩٩٤)^(١٢): وقّع الأردن "معاهدة سلام" مع الكيان الإسرائيلي، مُتّبِعًا منطق "الأرض مقابل السلام" لحلّ القضايا الحدودية والمائية، وتأمين الدعم الأمريكي.

(٣) صعود العدو البديل: جرى تقديم إيران ومشروعها السياسي ذي اللون الواحد تهديدًا وجوديًا يفوق الخطر الإسرائيلي التقليدي، مما أوجد مصلحةً مشتركةً بين بعض الأنظمة الخليجية والعربية والكيان الإسرائيلي^(١٣).

(٤) الجيل الجديد من القادة: صَعَدَتْ نُحْبُ حاكمة شابة – لا سيما في الخليج العربي – لم تُعاصِر الحروب العربية الإسرائيلية الكبرى، وجعلت أولوياتها التحديث الاقتصادي ومواجهة "جماعات الإسلام السياسي" التي تُهدّد عروشها، وهي أولويات وَجَدَ فيها الكيان الإسرائيلي شريكًا محتملاً.

(٥) اتفاقات "أبراهام" (٢٠٢٠)^(١٤): في هذه البيئة، جرى استنساخ النموذج المصري، ولكن مع تطور خطير؛ فإذا كانت مصر قد قدّمت سيناريو "الأرض مقابل السلام"، فإنّ اتفاقيات "أبراهام" التي وقّعتها الإمارات العربية والبحرين وغيرهما، قدّمت سيناريو "السلام مقابل الازدهار والأمن المشترك"، متجاوزةً القضية الفلسطينية بالكامل.

(١٢) Israel and Jordan. Treaty of Peace Between the State of Israel and the Hashemite Kingdom of Jordan. Wadi Araba Crossing, October 26, 1994. United Nations, Treaty Series, vol. 1859, no. 31584. Accessed December 5, 2025. <https://peacemaker.un.org/israeljordan-peacetreaty1994>.

(١٣) تحلل كيم غطاس بالتفصيل كيف أن التنافس السعودي-الإيراني الممتد منذ عام ١٩٧٩ أعاد تشكيل أولويات المنطقة وجعل من إيران "العدو المشترك" الذي أسس للتقارب بين إسرائيل ودول الخليج. انظر: Kim Ghattas, Black Wave (New York: Henry Holt and Co., 2020).

(١٤) The Abraham Accords. U.S. Department of State. Accessed December 5, 2025. Available at: <https://www.state.gov/the-abraham-accords/>.

هنا، استَفحَلَت ظاهرة "الصهيونية العربية" وتحوّلت من مجرد همساتٍ يَجْجَل إلى خطابٍ إعلامي كبيرٍ وتحريضٍ مستمرٍ ضد كل فردٍ عربي وفلسطيني مقاومٍ للمشروع الصهيوني، إضافة إلى تأييدٍ سياسي رسمي يروّج للتطبيع غايةً في حد ذاته، ويُنقِذ الفلسطينيين بل ويلومهم على رفضهم "للسلام"، وكان الأثر الأكبر لهذا المسار هو التآكل المنهجي للموقف العربي الموحد، فبعد أن كانت "مبادرة السلام العربية" (٢٠٠٢) في قَمّة بيروت^(١٥)، تضع إطارًا واضحًا الانسحاب الكامل أولًا ثم "السلام"، جاءت اتفاقيات "أبراهام" لتَقْلِب هذه المعادلة، وتجعل التطبيع جائزةً تُمنح للكيان الإسرائيلي مسبقًا.

المرحلة الثالثة: عملية "طوفان الأقصى" كاشفة الحقائق (٢٠٢٣ - الآن)

جاءت عملية "طوفان الأقصى" وما تلاها من حرب إبادةٍ في غزة لِيُمَثِّل لحظة الحقيقة التي اختبرت المسار المصري المتخاذل تجاه أهل غزة ومعه تيار "الصهيونية العربية"، التي كَشَفَتْ عن حقائق، أهمها:

(١) إعادة تعريف حالة التهديد للأمن القومي المصري: أثبتت الحرب أن الخطر الإسرائيلي على الأمن القومي المصري لم ينتهِ بالمعاهدة، فمشروع تهجير الفلسطينيين إلى "سيناء"، والسيطرة على محور "فيلا دلفيا"، يُمثِّلان تهديدًا وجوديًا مباشرًا لمصر، وقد كَشَفَتْ الحرب أن "السلام" لم يكن حلًّا نهائيًّا، بل مجرد "هدنة طويلة" يُمكن أن تنهار تداعياتها على حدود مصر في أي لحظة.

(٢) الاكتفاء بدور الوسيط وإدارة الأزمة^(١٦): بالتوازي مع موقفها الحازم برفض التهجير، حافظت مصر على قنوات الاتصال، ممَّا مكنها من تأدية دور الوسيط الرئيس في

(١٥) League of Arab States. Arab Peace Initiative. Beirut Arab Summit, March 28, 2002. Available at: <https://www.lasportal.org/ar/summits/Documents/2002%20Beirut%20Summit/Arab%20Peace%20Initiative.pdf>.

(١٦) Kingsley, Patrick, and Ronen Bergman. "The Secret Negotiations That Led to the Gaza Truce Deal." The New York Times, November 22, 2023. Accessed December 5, 2025. Available at: <https://www.nytimes.com/2023/11/22/world/middleeast/israel-hamas-gaza-truce-deal.html>.

مفاوضات الهدن وتبادل الأسرى، وجعلها الشريان شبه الوحيد للمساعدات عن طريق معبر رفح، وعزّز هذا الدور من أهمية مصر بوصفها فاعلاً إقليمياً لا يمكن تجاوزه، لكنّه عرّضها لانتقاداتٍ شعبيةٍ كبيرةٍ بأنّها متخاذلة، واكتفت بـ"إدارة" الكارثة بدلاً من العمل على وقفها.

(٣) صَعَفُ تيار "الصهيونية العربية": أظهرت الحرب أنّ خطاب العيش المشترك مع الكيان الإسرائيلي يتبخّر أمام حقيقة المشروع الصهيوني التوسعي، وقد أخرجت مشاهد الإبادة في غزة المطّيعين الجدد ظاهرياً مع رغبتهم بالقضاء على أيّ بؤرة مقاومة، وأثبتت أنّ الكيان الإسرائيلي لا يرى في حلفائه العرب شركاء، بل مجرد أدواتٍ وبيادقٍ يستخدمها في استراتيجيته التوسعية، وبالفعل سقطت ورقة العروبة عن هذا التيار وضعف موقفه.

وعلى عكس حماس المطّيعين الجدد، حاولت مصر أن تُحافظ على "السلام الهش" بحذر، وأظهر موقف مصر الحاسم برفض التهجير خوفاً على أمنها القومي بدرجةٍ رئيسة، وأنّها - على الرغم من المعاهدة - لا تزال تدرك خطورة المشروع الصهيوني على أمنها القومي المباشر، ولقد بدا الموقف المصري - الذي كان يُنتقد أحياناً - أكثر صمتاً مقارنة بالاندفاع غير المحسوب لدول اتفاقيات "أبراهام"

الخاتمة

في نهاية هذا التحليل الممتد لأكثر من أربعة عقود، نجد أنفسنا أمام مفارقةٍ كبرى، فالقرار الذي اتخذته مصر في أواخر السبعينيات، الذي جرى تبريره آنذاك بمنطق الواقعية السياسية ضرورةً حتميةً لاستعادة الأرض وحماية الأمن القومي، قد أفضى اليوم إلى وقعةٍ سياسية، أي: واقعٍ أمنيٍّ معقد يضع هذا الأمن القومي ذاته أمام أحد أخطر اختباراته على حدود غزة.

لقد توصّلت هذه الورقة إلى أنّ اتفاقات "كامب ديفيد" كانت بالفعل خيارًا عقلائيًا من منظور المصلحة القومية المصرية الضيقة كما قدّرتها القيادة السياسية آنذاك، ونجحت مصر في تحقيق هدفها باستعادة "سيناء" كاملة وأوقفت نزيف الموارد، لكنّ هذا النجاح كان له ثمنٌ استراتيجيٌّ باهظ، تمثّل في تفكيك جبهة المواجهة العسكرية والسياسية العربية، وعزّل القضية الفلسطينية، وإطلاق يد الكيان الإسرائيلي تعبت في المنطقة العربية.

إنّ إرث "كامب ديفيد" لم يقتصر على تغيير وجه السياسة المصرية، بل أعاد تعريف مفهوم "السلام" في المنطقة، فدشّن مسارًا من التطبيع عن طريق الحلول المنفردة التي تكرّست لاحقًا في "وادي عربة"، ثم اتفاقات "أبراهام"؛ إذ جرى تغليب المصالح القطرية على الموقف العربي القومي، هذا المسار، الذي وجدَ مبرراته في أطروحات "الصهيونية العربية"، أدى إلى تآكل القضية الفلسطينية، وتحويلها من قضية وجود وهوية إلى مجرد ملف إنسانيٍّ يُدار أمنيًا، وتأتي أحداث "طوفان الأقصى" لتكشف عن هشاشة هذا النموذج، وتؤكد أنّ تجاهل جوهر الصراع ومحاولة القفز فوقه لا يؤدي إلى استقرار حقيقي، بل يؤجّل الانفجار ويزيد من عنفه، وعلى الرغم من أنّ مصر نجحت تكتيكيًا في منع كارثة التهجير، إلا أنّها تجد نفسها اليوم في مواجهة واقعٍ استراتيجيٍّ أشد خطورة.

في الأخير، يُمكن القول: إنّ السلام المصري مع الكيان الإسرائيلي ظلّ "سلامًا هشًا" بين نظامين، ولم يتحوّل قط إلى سلامٍ حقيقيٍّ بين شعبين؛ لأنه لم يقيم على أساس العدل الشامل، بل قام على حساب استمرار الاحتلال للأراضي الفلسطينية، وبعد مرور أكثر من أربعين عامًا يبدو أنّ المنطقة لم تحصد سلامًا حقيقيًا، بل مجرد "حالة اللا حرب" التي أثبتت أنّها قابلةٌ للاشتعال في أيّ لحظة، وأنّ مستقبل الأمن القومي المصري، بل وأمن المنطقة بأسرها، يبقى مرهونًا بالقدرة على إيجاد حلٍّ عادلٍ ودائمٍ للقضية الفلسطينية، وهو الدرس الذي أعادت أحداثُ غزة كتابته من جديد بالدم والنار، مؤكدةً على أنّ أيّ محاولة لتجاوز هذه الحقيقة لن تُنتج إلا المزيد من العنف والقتل واللا استقرار.

الجسر البري بين الإمارات و"إسرائيل":

التطبيع على حساب غزة وفلسطين

أحمد علي داوود

مقدمة

أحدثت معركة "طوفان الأقصى" التي انطلقت في السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣ زلزالاً أمنياً وعسكرياً وسياسياً ونفسياً ومعنوياً لدى الكيان الصهيوني، الذي فقد توازنه، لولا الدعم الأمريكي والغربي غير المحدود.

وعلى الرغم من مأساة غزة جرّاء حرب الإبادة الصهيونية والحصار الخانق، إلا أنّ المواقف الدولية ظلّت خافتة، في حين سجّل العرب مواقف متراخية ومتواطئة، وذلك بانحياز بعض الأنظمة المطبوعة لصالح الكيان الصهيوني على حساب القضية الفلسطينية.

وفي خضمّ ما حدث، برز الدور الإماراتي مثلاً صارخاً على الخيانة العربية للقضية الفلسطينية، عن طريق استمرار التطبيع مع الكيان والتبادل التجاري، إضافةً إلى افتتاح جسرٍ بريّ ينطلق من دبي، مروراً بالسعودية والأردن، وصولاً إلى حيفا؛ لنقل البضائع إلى داخل الكيان في فلسطين المحتلة؛ للتخفيف من وطأة الحصار اليمني في البحر الأحمر.

وتتناول هذه الدراسة السلوك الإماراتي بأسلوبٍ وصفيّ تحليلي، يهدف إلى إلقاء الضوء على معركة "طوفان الأقصى" والحصار اليمني على الملاحاة الصهيونية والتطبيع الإماراتي، ودور الجسر البري من الإمارات إلى "إسرائيل" في دعم الصهيونية على حساب غزة والقضية الفلسطينية.

أولاً: خلفية التطبيع الإماراتي-الصهيوني

تميّزت السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة خلال مدّة حكم الشيخ زايد آل نهيان (١٩٧١-٢٠٠٤) بالعداء للكيان الصهيوني، والدعم العلني للقضية الفلسطينية، وفي بداية حكم الشيخ زايد أصدرت الإمارات قانوناً يحظر إقامة أيّ علاقاتٍ أو صفقاتٍ تجاريةٍ مع الكيان^(١). وكشف كتاب صدرَ عن مركز الوثائق والبحوث التابع لوزارة شؤون الرئاسة الإماراتية عام ٢٠٠٨ أنّ الشيخ زايد كان أول من اتخذ قراراً استراتيجياً بقطع إمدادات النفط خلال حروب العرب مع الكيان خلال عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٣، مُطلقاً مقولته الشهيرة: "ليس النفط العربي أغلى من الدم العربي"^(٢).

غير أنّ ملامح هذه السياسة شهدت تغييراتٍ جذريةً بعد وفاة الشيخ زايد في عام ٢٠٠٤، وصعود أبنائه لقيادة دولة الإمارات، وبعد أن تولّى الحكم الفعلي للإمارات محمد بن زايد عام ٢٠١٤ بسبب مرض الشيخ خليفة بن زايد برزت العلاقة العلنية بين الإمارات والكيان^(٣)، وذلك عن طريق تبادل الزيارات والمشاركة في الفعاليات الرياضية والمناورات العسكرية، بالإضافة إلى تعزيز التبادل التجاري، كما شهدت الإمارات زياراتٍ لكبار المسؤولين الصهيينة.

وثوّجت العلاقات بين الإمارات والكيان الصهيوني بالإعلان الرسمي للتطبيع بينهما بتاريخ ١٣ أغسطس/ آب ٢٠٢٠، الذي جاء خلال مكالمةٍ ضمّت الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد، وقد وُصف البيان المشترك هذه الاتفاقية بأنّها "اختراق دبلوماسي تاريخي" يهدف إلى تعزيز

(١) الكشف عن تفاصيل جديدة للتطبيع الإماراتي الإسرائيلي. جريدة الراية القطرية. ٢٢ أبريل ٢٠١٩. متاح على الرابط:

<https://2u.pw/QhceI0>

(٢) الشيخ زايد أول من أدخل سلاح النفط في مواجهة "إسرائيل". صحيفة قراءات العرب. ٧ يوليو ٢٠٠٨.

(٣) شعبان، محمد صالح. انعكاسات اتفاقية أبراهام بين دولة الإمارات العربية و"إسرائيل" على القضية الفلسطينية. جامعة العلوم الإسلامية الماليزية. ديسمبر ٢٠٢٢. ص ١٨١.

"السلام" في منطقة الشرق الأوسط^(٤)، كما وصّف رئيس تحرير صحيفة "إسرائيل اليوم" المقربة من نتنياهو، الاتفاق بقوله: "إنّ دولة الإمارات كانت عشيقة لإسرائيل سرّاً طوال أكثر من عقدين، وتغيّرت مكانتها إثر الاتفاق لتصبح زوجةً رسميةً في العلن"^(٥)، وبعد أيام من الاتفاق أصدرت الإمارات مرسومًا قضى بإلغاء القانون الاتحادي رقم (١٥) لسنة ١٩٧٢ المتعلق بمقاطعة "إسرائيل" وما يترتب عليه من عقوبات^(٦)، فجاء الإعلان بمحتواه وتوقيته ضربةً للموقف الفلسطيني الموحد في معارضة صفقة القرن الأمريكية التي دعمتها الإمارات؛ مما جعله يبدو أداةً للضغط على الموقف الفلسطيني^(٧).

التسلسل الزمني لمسار علاقات التطبيع الإماراتي الصهيوني (٢٠١٠ - ٢٠١٩)

العام	الحدث
٢٠١٠	استضافت الإمارات فريق الجودو الصهيوني، وتمّحت له برفع العلم وعزف النشيد الصهيوني.
٢٠١٥	شارك وزير الطاقة الصهيوني في مؤتمر الطاقة الدولية المتجددة الذي عُقد في العاصمة الإماراتية أبوظبي.
٢٠١٦	مناورة عسكرية مشتركة بين الكيان الصهيوني والإمارات باسم "تمرين العلم الأحمر" أُقيمت في اليونان تحت قيادة الإدارة الإماراتية.

(٤) أبو رشيد، أسامة. الاتفاق الإماراتي-الإسرائيلي: خلفياته وحيثياته. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. أغسطس ٢٠٢٠. ص ١.

(٥) شعبان. مصدر سابق. ص ١٨٤.

(٦) رئيس الدولة يصدر مرسومًا بإلغاء قانون مقاطعة إسرائيل. موقع أنباء الإمارات (وام). ٢٩ أغسطس ٢٠٢٠. متاح على الرابط: <https://2u.pw/iO95HG>

(٧) الحاج، عرفات. التطبيع الإماراتي الإسرائيلي... الجذور والدوافع والآثار. مركز رؤية للتنمية السياسية. ٨ سبتمبر ٢٠٢٠. متاح على الرابط: <https://2u.pw/woKBdQ>

اشترت الإمارات من مجموعة (NSO) الصهيونية تكنولوجيا متطورة لقرصنة الهواتف النقالة؛ بغرض التجسس على معارضيهما في الداخل والخارج، ومنَّ تعدُّهم خصومها من بينهم صحفيون ومثقفون، وفي العام ذاته قامت وزيرة الثقافة والرياضة الصهيونية "ميري ريغيف" بزيارة علنية إلى أبوظبي، وتجوَّلت خلالها في مسجد الشيخ زايد مرتديةً زيًّا إماراتيًّا تقليديًّا.	٢٠١٨
شارك وزير الخارجية والاستخبارات الصهيوني آنذاك "يسرائيل كاتس" في المؤتمر البيئي الذي نظَّمته الأمم المتحدة في أبوظبي، كما زار وفدٌ من وزارة العدل الصهيونية أبوظبي في العام ذاته للمشاركة في مؤتمرٍ دولي لمكافحة الفساد.	٢٠١٩

الجدول من إعداد الباحث

ثانيًا: طوفان الأقصى والتجارة بين الإمارات والكيان

تميّزت معركة "طوفان الأقصى" التي انطلقت بشكل مفاجئ في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، بأنَّها جاءت مغايرةً لطبيعة الصراع الفلسطيني الصهيوني منذ عام ١٩٤٨، فقد حدَّدت المقاومة الفلسطينية "حماس" لأول مرةٍ زمان المواجهة ومكانها، بعكس ما كان في السابق؛ إذ يُحدد الكيان المكان والزمان للعدوان على غزة، ما كشف عن مبادرة المقاومة والانتقال من مربع الدفاع إلى مربع الهجوم^(٨).

ومع بداية حرب الإبادة على قطاع غزة قررت الحكومة الصهيونية فرض حصارٍ كاملٍ على القطاع، وبموازاة ذلك قدَّمت واشنطن المساعدات والدعم غير المحدود للكيان، ونقلت إليه كل أشكال السلاح والعتاد الحربي، فتحولت غزة إلى سجنٍ كبيرٍ لا يدخله الدواء ولا الغذاء، ولا المساعدات، وواصل الكيان الصهيوني حرب الإبادة الجماعية بقصفٍ وحشيٍّ طال كل مرافق الحياة.

(٨) التطبيع الإماراتي الإسرائيلي... الجذور والدوافع والآثار. مصدر سابق.

وامتازت مواقف الكثير من الدول العربية بالخذلان، لكنَّ الشعوب الرافضة لسياسة حكامها اتجهت إلى تفعيل سياسة المقاطعة بكل أشكالها، ومنها المقاطعة الاقتصادية، فتضرَّرت شركاتٌ عالميةٌ داعمةٌ للكيان، ومن أمثلة ذلك تراجعت مبيعات "ماكدونالدز" في مصر بنسبة ٧٠٪ خلال الأشهر الأولى من الحرب، كما استطاعت حملة المقاطعة التي دشنها الأردنيون تحت عنوان "استحي" ورافقتها عدد من الوقفات الاحتجاجية أن تُجبر عددًا من العلامات التجارية الدولية على تقليص فروعها في المملكة^(٩).

أما بالنسبة للإمارات، فقد ازدهرت تجارتها مع الكيان الصهيوني؛ إذ أصبحت الشريك التجاري العربي الأول مع هذا الكيان، وقد استحوذت على أكثر من ثلثي حجم التبادل التجاري للدول العربية مع "إسرائيل" خلال العدوان على قطاع غزة، كما تجاوز حجم التجارة بين الإمارات والكيان مجموع التبادل التجاري للدول العربية الأخرى المطبَّعة معه^(١٠)؛ إذ بلغ حجم التبادل التجاري بين الإمارات والكيان الصهيوني عام ٢٠٢٠ (١٨٩,٨ مليون دولار)، ثم ارتفع في عام ٢٠٢١ إلى (١,٢٢١ مليار دولار)، وفي عام ٢٠٢١ وصل إلى (٢,٥٢٧ مليار دولار) بزيادة كبيرة عن الأعوام الماضية؛ لتزيد الرقم إلى (٢,٩ مليار دولار) في عامي ٢٠٢٣، و٢٠٢٤، ما يعني أنَّ التجارة بينهما كانت في ازدهار، ولم تتأثر حتى مع العدوان الصهيوني على قطاع غزة.

ثالثًا: الحصار اليميني على الكيان الصهيوني وميناء أم الرِّشَاش (إيلات)

يُعَدُّ الدعم اليميني للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة واستهداف الملاححة الصهيونية في البحر الأحمر من أبرز التطورات المرتبطة بعملية "طوفان الأقصى"، ففي خطابٍ ألقاه في العاشر من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، حدد السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي

(٩) طنطاوي، صابر. مطالبات بمقاطعة الإمارات: شريك في حرب الإبادة ضد غزة. نون بوست. ١٨ ديسمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط: <https://www.noonpost.com/186503/>

(١٠) الإمارات تستحوذ على أكثر من ثلثي حجم تجارة الدول العربية مع إسرائيل. موقع إمارات. ٤ ديسمبر ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://emiratesleaks.com/>

موقف اليمن، مؤكداً أنه "إذا تدخل الأمريكي بشكل مباشر، فنحن مستعدون للمشاركة، حتى على مستوى القصف الصاروخي والمسيرات، والخيارات العسكرية بكل ما نستطيع"، وأطلق الموقف الخالد: "أنتم لستم وحدكم، فشعبنا إلى جانبكم، وأحرار هذه الأمة إلى جانبكم" (١١).

وفي خطاب آخر، أكد السيد الحوثي أن عيون اليمنيين مفتوحة للرصد والبحث عن أي سفينة صهيونية تعبر من باب المندب، لافتاً إلى أن الصهيوني خائف، وهو يرفع أعلاماً أخرى ويغلق أجهزة التعارف لئلا تُرصد سفنه، لكن "سنظفر - بتوفيق الله سبحانه وتعالى - بهم، وسننكل بهم، وفي أي مستوى تناله أيدينا وإمكاناتنا، لن نتردد في استهداف العدو الإسرائيلي، هذا موقفنا المعلن والصريح والواضح، وليعرف به كل العالم" (١٢).

وبدأ الحصار الفعلي على الملاحة الصهيونية في البحر الأحمر، في ١٩ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٢٣؛ إذ جرى تنفيذ أول عملية نوعية ضد الكيان الصهيوني، وجرى الاستيلاء على السفينة (غالاكسي ليدر)، واقتيادها إلى ميناء الحديدة؛ ليواصل اليمن بعد ذلك تنفيذ عمليات نوعية، ضد السفن الصهيونية؛ إذ بلغ عدد السفن الصهيونية المستهدفة (٢٥) سفينة خلال عامي ٢٠٢٣ و ٢٠٢٤ جرى استهدافها في البحر الأحمر، وخليج عدن، والبحر العربي، والمحيط الهندي، والبحر الأبيض المتوسط، في حين جرى استهداف (٧٦) سفينة من جنسيات متعددة غير صهيونية انتهكت قرار الحظر اليمني، كانت متجهة نحو ميناء أم الرشراش (إيلات)، بينها (٤١) سفينة جرى استهدافها في البحر الأحمر، و(١٣) سفينة جرى استهدافها في خليج عدن والبحر العربي، وفي المحيط الهندي جرى استهداف (٥) سفن، كما جرى استهداف سفينة شمالي جزيرة سقطرى، وسفينة أخرى شرقي الجزيرة،

(١١) كلمة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي حول المستجدات في فلسطين. موقع أنصار الله. ١٠ أكتوبر ٢٠٢٣. متاح على

الرابط: <https://www.ansarollah.com.ye/alsayid-alqaed/633034>

(١٢) نص كلمة السيد القائد خلال تدشين الذكرى السنوية للشهيد ١٤٤٥هـ. وكالة الأنباء اليمنية سبأ. ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣.

متاح على الرابط: <https://www.saba.ye/ar/news3280731.htm>

كما اشتركت القوات المسلحة اليمنية مع المقاومة العراقية في استهداف (٧) سفن في البحر الأبيض المتوسط^(١٣).

وعلى الرغم من تحرك الولايات المتحدة الأمريكية، وإعلانها تشكيل تحالف سُمّي بـ"حارس الازدهار" في ١٩ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٢٣، ثم بدء العدوان الأمريكي البريطاني على اليمن في ٢١ يناير / كانون الثاني ٢٠١٤، إلا أنَّ العدوان فشَل، واستمرت العمليات اليمنية، مُلحقة خسائر فادحةً بالاقتصاد الصهيوني، والسفن الأمريكية والبريطانية التجارية والعسكرية؛ إذ تمكَّنت القوات اليمنية من استهداف (٢٩) سفينةً تجاريةً أمريكيةً و(١٣) سفينةً تجاريةً بريطانيةً، إضافةً إلى (٧٣) سفينةً متعددة الجنسيات، و(٦٨) قطعةً حربيةً أمريكيةً بينها حاملات طائرات.

رابعاً: الجسر البري الإماراتي ومحاولة إنقاذ اقتصاد الكيان الصهيوني

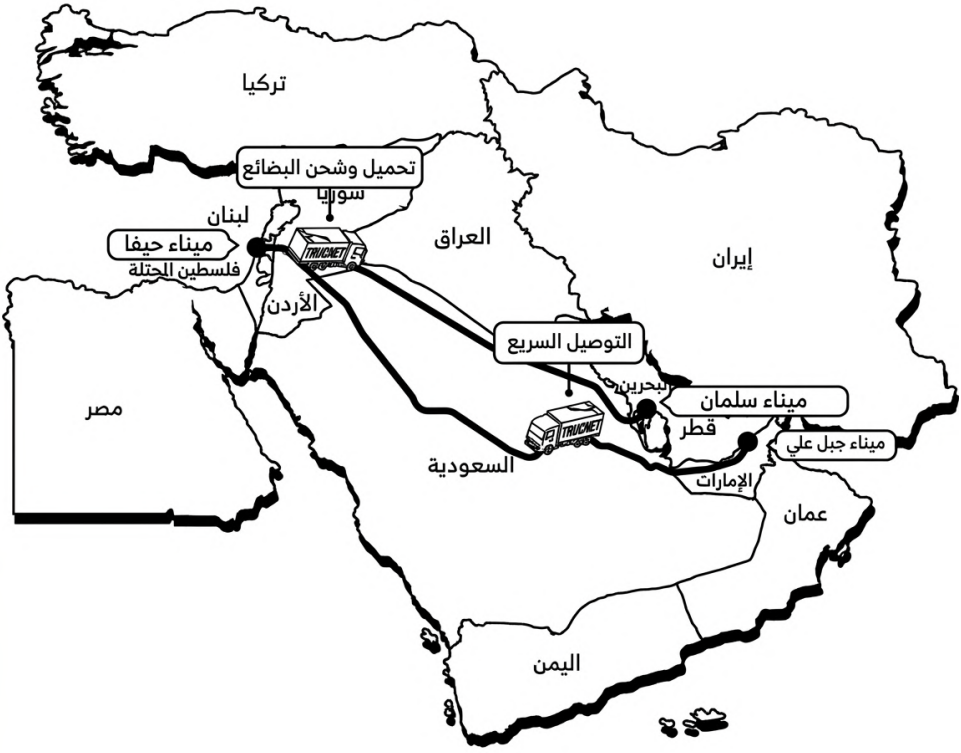
أثارت العمليات العسكرية اليمنية في البحر الأحمر قلقاً كبيراً للكيان الصهيوني، وأضرَّت كثيراً باقتصاده، وبذل الكيان كل الوسائل المتاحة لإيجاد بدائل لفكِّ الحصار، ومنها الإعلان عن توقيع شركة "ترك نيت (Trucknet)" الصهيونية وشركة "يُور ترانز (Puretrans)" الإماراتية للخدمات اللوجستية في ٦ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٢٣ اتفاقاً قضى بإنشاء جسرٍ بريٍّ بين الإمارات والكيان، وتسيير الشاحنات المحمَّلة بالبضائع من ميناء دبي مُروراً بالأراضي السعودية ثم الأردنية وصولاً إلى ميناء حيفا^(١٤).

(١٣) عامان من الفعل لا القول... إحصائيات الإسناد اليمني لغزة. موقع أنصارالله. ١٢ أكتوبر ٢٠٢٥. متاح على

الرابط: <https://ansarollah.com.ye/archives/816007>

(١٤) طنطاوي. مصدر سابق.

خريطة الممر البري الرابط بين دول الخليج والكيان الصهيوني



المصدر: بتصرف وترجمة عن "ترك نت (Trucknet)"

ووصفت القناة الـ(١٣) العبرية الجسر التجاري البري بأنه "مهم ومُغيّر للمعادلة"، ويقوم على تغيير الواقع، وقالت: "إنّه افتتاحٌ هادئٌ وسري لخطٍّ تجاريٍّ جديد يلتفُّ حول "الحوثيين"، ويعمل بكامل طاقته"، كما وصف الرئيس التنفيذي لشركة "إيلخَنان فريدمان"، هذا الطريق البري بأنه "اختراق اقتصادي وتاريخي، ويُجسّد التعاون التجاري بين الدول العربية والكيان الصهيوني في الحرب ضدَّ محور الشر" على حدِّ قوله^(١٥).

(١٥) زراقت، زينب عدنان. خط بري بديل لإسرائيل عبر دول عربية متواطئة. ٢ فبراير ٢٠٢٤. متاح على الرابط:

وخلال زيارتها إلى الهند أعلنت وزيرة النقل والسلامة في حكومة نتنياهو "ميري ريغيف" في يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٤ بأنّ الكيان الصهيوني يعمل على خطةٍ لتمكين نقل البضائع من الهند إلى أبوظبي عن طريق نقلٍ بري إلى الكيان لتجاوز البحر الأحمر وتهديدات الحوثيين^(١٦).

وكتبت الوزيرة "ريغيف" منشورًا على صفحتها على منصة التواصل الاجتماعي "إكس" زعمت فيه تشكيل فريقٍ لتسهيل النقل البري للبضائع من أبوظبي إلى "إسرائيل"، مشيرةً إلى أنّ النقل البري للبضائع، هو طريقٌ يلتفتُ حول "الحوثيين"، وسيؤدي إلى تقصير الوقت بمقدار ١٢ يومًا، وتقليل وقت الانتظار الحالي بشكلٍ كبير بسبب مشكلة الشحن^(١٧).

وجاء الرد الرسمي الأردني بالنفي القاطع لوجود هذا الجسر، على لسان رئيس الحكومة بشر الحَصّاونة، عندما وصف هذا الجسر بأنّه "وحيٌّ من الخيال"، لكنّ هذا الوصف لرئيس الحكومة الأردني صار واحدًا من شعارات الاحتجاجات في الشارع الأردني؛ إذ هتف المحتجون خلال وقفاتهم وتظاهراتهم (كيف وحي من الخيال؟ ... والجسر البري شغال)^(١٨).

قبل معركة "طوفان الأقصى" بأسابيع، وتحديدًا في سبتمبر/ أيلول ٢٠٢٣، وُلد مشروع كبير قيل: "إنّه سيغير وجه التجارة العالمية"، وهو الممر الرابط بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا؛ إذ وقّع قادة مجموعة العشرين في "نيودلهي" الاتفاق المبدئي آنذاك، وأغرقوا المشروع بالمديح، ووصفه الرئيس الأميركي السابق جو بايدن بأنه "تاريخي"^(١٩).

(١٦) هكذا تساعد الإمارات إسرائيل. الخنادق نت. ١٥ فبراير ٢٠٢٤. متاح على الرابط: <https://alkhanadeq.com/post/6654/>

(١٧) https://x.com/regev_miri/status/1749459468037836819/photo/1

(١٨) ما حقيقة وجود جسر بري يمر بالأردن لتزويد إسرائيل بالبضائع. موقع الجزيرة نت. ٦ أبريل ٢٠٢٤. متاح على الرابط:

<https://aja.ws/ltn2xl>

(١٩) المشيخص، سكينه. بين الهند وأوروبا... الممر المعلق في غزة. موقع الحرة. ١٩ سبتمبر ٢٠٢٥. متاح على الرابط:

<https://alhurra.com/4818>

ويربط هذا المشروع الموانئ الهندية عن طريق البحر بميناء الفجيرة في الإمارات؛ لتتنقل البضائع بواسطة الشبكة الحديدية من أراضي الإمارات العربية إلى المملكة العربية السعودية ثم الأردن، ثم الكيان الصهيوني إلى ميناء حيفا؛ لتُنقل بعدها البضائع بحرًا إلى الموانئ الأوروبية^(٢٠)، هذا المشروع بطبيعته يأتي لئلا ينافس مشروع "طريق الحرير" الصيني الذي تُخطّط له الصين منذ عقود. وقد جاءت الخطوة الإماراتية بتشغيل الجسر البري اختبارًا لجدوائية المشروع الطموح، في الوقت الذي كان مئات الآلاف من الغزّائيين يجأرون من الحصار والمجاعة والموت الجماعي.

الخاتمة

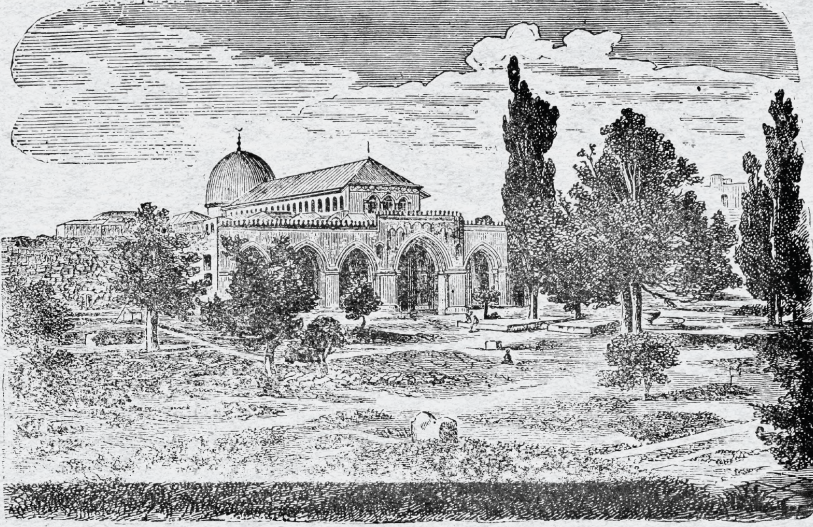
أسّس الاختراق الصهيوني والتطبيع مع الإمارات أرضيةً خصبةً للتوسع نحو بلدان خليجية وعربية أخرى، وهذا ما يسعى له الكيان في إطار مشروع "الشرق الأوسط الجديد". وبعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣ وانطلاق معركة "طوفان الأقصى" ظهر الدور الإماراتي في تعزيز التجارة وإنقاذ "إسرائيل" من الحصار الاقتصادي اليمني من خلال تشغيل الجسر البري، مؤثرًا على مدى تغلغل "الصهيونية العربية" وتخدامها مع الكيان الغاصب على حساب القضية الفلسطينية.

لم تقف الإمارات على الحياد، بل شاركت فعليًا في الحرب النفسية والإعلامية على المقاومة، ووظفت أدوات إعلامية واسعة لشيطنة المقاومة الفلسطينية، ووصمها بالإرهاب، وتحميلها مسؤولية الدمار الشامل الذي تعرّضت له غزة، كما امتنعت الإمارات في مراتٍ متعددة في مجلس الأمن من التصويت على قراراتٍ تُطالب بوقف إطلاق النار على قطاع غزة.

(٢٠) واكيم، جمال. الممر الهندي الشرق أوسطي الأوروبي: نظام إقليمي بقيادة "إسرائيل" وتابع لواشنطن. الميادين نت. ٢٤

سبتمبر ٢٠٢٣. متاح على الرابط: <https://2u.pw/zoF8hk>

لكنّ التطبيع الاقتصادي كان أشدَّ خطورة وقسوة خلال يوميات حرب الإبادة على غزة، حيث ظهرت أبوظبي المنقذ لليهود وكيان الاحتلال، وليس للشعب العربي المسلم في غزة، بعد أن أمكن لليمن أن يفرض حصارًا بحريًا محكمًا على ميناء أم الرّشّاش (إيلات). وهي حالةٌ تحتاج إلى المزيد من التقييم، وتسليط الضوء على مختلف جوانبها.



في خضم هذه المواجهة الشاملة والمنازلة الكبرى، معركة الوجود والهوية والوعي والاستقلال والتحرر واستعادة العزة والكرامة. يأتي كتاب: "الصهيونية العربية ومآلات القضية الفلسطينية" لمجموعة من الباحثين، بوصفه باكورة إصدارات (مركز آفاق اليمن للأبحاث والدراسات) ليضيف مكوّنًا ثالثًا على مكوّنات المشروع الصهيوني بعد مكوّنيه المؤسّسين (المسيحي البروتستانت واليهودي)، هذا المكوّن هو: "الصهيونية العربية" الذي اتخذه المركز عنوانًا لكتابه الأول، في إشارة إلى الموقف السلبي والانهمامي لفئة من العرب تجاه قضية الأمة المركزية "قضية فلسطين" وتطوراتها، باعتبارها القضية المركزية التي تُمثل بؤرة الصراع الكوني بين قوى الخير وقوى الشر، والتي من خلالها يتحدد مصير ومستقبل الأمة وهذا ما برهنت عليه الأحداث منذ بدايات القرن التاسع عشر وإلى الآن.

